eISSN: 2600-7096
V.7, Issue. 1, March 2023

PREFERRING ONE WORD TO ANOTHER IN THE QURANIC SYSTEMS AND ITS SEMANTIC IMPACT INTERPRETATION OF THE NOBLE QURAN BY IBN UTHAYMEEN AS A MODEL

ABDULLAH BIN SALEH BIN ABDULLAH ALKHEDHAIRI
Professor at Invocation and Islamic Culture Department
College of Invocation and Fundamentals of Religion
E-mail: abumaad77@hotmail.com

ABSTRACT
The research aims to demonstrate the contributions of Sheikh Mohammed bin Saleh Al-Uthaymeen through his interpretation in revealing the eloquence and miraculous of the Holy Quran in an important issue, which is the preferring of a Quranic word to another in the Quranic Systems and its semantic impact. The researcher has adopted the inductive and analytical approach to investigate the issues of the research, including applied models from the interpretation of the Holy Quran by Sheikh Ibn Uthaymeen. The research reached important findings, including: The Holy Quran chose its vocabulary accurately and carefully, as a word in it is not suitable to be replaced by another; Because that would disturb the systems as well as the meaning. The Quran includes all the methods of the eloquent Arabic speech, and came with other methods that were not familiar to them, nor could they come up with the same; As it is amazing in its arrangement, wonderful in its composition, finite in its rhetoric, peculiar in its style, with no disparities or discrepancies.The attractive letters of the Quran varied; Sometimes it moves from one speech to another, at another time it prefers one sentence to another, and sometimes it prefers a noun to another, a verb to another, and a letter to another, so that the reader and the listener remain strongly attracted to it.
Keywords: *Preferring - Systems - Semantic - Ibn Uthaymeen*

جامعة المدينة العالمية
مجلة العلوم الإسلامية الدولية

eISSN: 2600-7096
المجلد.٧، العدد ١، مارس٢٠٢٣م

إيثار كلمة على أخرى في النظم القرآني عند ابن عثيمين في تفسيره: دراسة تأصيلية

عبد الله بن صالح بن عبد الله الخضيري

الأستاذ في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية – كلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى

الملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان إسهامات الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله من خلال تفسيره في الكشف عن بلاغة وإعجاز القرآن الكريم في قضية مهمة، وهي إيثار مفردة قرآنية على أخرى في النظم القرآني وأثرها الدلالي، وتكمن مشكلة البحث في عدم وجود دراسة عن هذا الجانب عند ابن عثيمين، وقد استعمل الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي لسبر قضايا هذا البحث، وضمنه نماذج تطبيقية من تفسير القرآن الكريم للشيخ ابن عثيمين، وتوصل البحث لنتائج مهمة منها: اختار القرآن الكريم مفرداته بدقة وعناية إذ إن كلمة فيه لا يصلح أن نستبدلها بكلمة أخرى؛ لأن ذلك سيخل بالنظم كما يخل بالمعنى. اشتمل القرآن على كل أساليب الكلام العربي البليغ، وجاء بأساليب أخرى لم يكن في معهودهم، ولا في مقدورهم الإتيان بمثله؛ فهو عجيب في نظمه، بديع في تأليفه، متناه في بلاغته، غريب في أسلوبه، لا تفاوت فيه ولا تباين. تنوعت خطابات القرآن الجذابة؛ فمرة ينتقل من خطاب إلى خطاب، ومرة يؤثر جملة على أخرى، وتارة يؤثر اسما على آخر، وفعلا على فعل، وحرفاً على حرف، ليظل قارئه وسامعه منجذباً أشد الانجذاب إليه.

الكلمات المفتاحية: إيثار –كلمة– النظم – الدلالة — القرآن الكريم– ابن عثيمين.

١. المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن دراسة النص القرآني دراسة متأنية تتطلب الوقوف عند اللبنة الأولى للنص المتمثلة في المفردة القرآنية، لنعرف مدى البلاغة في اختيارها، ومدى تمكنها في جملتها، وقوة ارتباطها بغيرها، قال الراغب الأصفهاني: "فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة"[١] وإذا ما فرغنا من دراسة هذه المفردات دراسة بيانية؛ وانطلقنا لدراسة الجملة في النص، سندرك سر قوتها وجمالها، وسر اختيارها وإيثارها على غيرها، وعند استكمالنا لدراسة الجملة القرآنية وتحولنا إلى دراسة النص القرآني بأكمله؛ ونظرنا إليه كوحدة واحدة متكاملة، سنرى مدى ارتباط بعضه ببعض، ومدى تضافر أجزائه على رسم الصورة التي يريد النص توضيحها.

إنَّ دراسة النص القرآني تعني التأمل فيما يحويه من تناسق في اللفظ، وجمال في الأسلوب، ودقة في المعنى، ومعرفة ما بين اللفظ والمعنى من تآخ وتناسب، ومعرفة مدى تأثير ذلك الترابط والتناسق على الفكر، وإثارته للوجدان، وتحريكه للمشاعر والأحاسيس. وسنقتصر في بحثا هذا على واحدة من أسرار الجمال في تكوين الجملة العربية، وهي: (إيثار كلمة على أخرى في النظم القرآني عند ابن عثيمين في تفسيره: دراسة تأصيلية)، وستتم معالجة الموضوع من خلال ما هو متوفر ومطبوع من تفسير ابن عثيمين رحمه الله.

مشكلة البحث:

ثمة العديد من الدراسات حول منهج ابن عثيمين في تفسيره بيد أن دراسة منهجيته في بيان جماليات النظم القرآني واختيار مفرداته وأثرها في التفسير لا توجد – بحسب تتبع البحث لذلك –، وهذه فجوة بحثية بحاجة للدراسة والبيان، ومن ثَمَّ فإن هذا البحث سيسعى لسد تلك الفجوة، والله الموفق.

أهداف البحث: يسعى الباحث من خلال البحث لتحقيق الأهداف الآتية:

١) التعريف بمفهومات النظم القرآني والجملة القرآنية والفاصلة القرآنية.

---

[١] الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص٥٥.

٢) التفريق بين الجملة القرآنية والنظم القرآني.
٣) إبراز معالم الإعجاز البياني في القرآن الكريم.
٤) بيان الأثر الدلالي من إيثار كلمة على أخرى في السياق القرآني.

أهمية البحث: تبرز أهمية البحث في الآتي:

١. انطلاقه من كتاب: تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين، وهو من أشهر مفسري العصر المشار إليهم بالبنان، مبيناً لفتات القرآن الكريم، موضحاً أسراره في اختيار ألفاظه، ورصف جمله وفواصله. مع تركيزه على الأثر النبوي.
٢. الكشف عن جوانب مهمة من إعجاز القرآن الكريم في اختيار المفردة القرآنية.

منهج البحث: يعتمد الباحث على المنهجين الاستقرائي والتحليلي[٢]؛ بحسب ما تقتضيه قضايا البحث.

الدراسات السابقة:

١ – دراسة: أحمد ياسوف ١٩٩٩، بعنوان: جماليات المفردة القرآنية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة حلب.
٢ – دراسة أبو لحية مجدي عايش عودة ٢٠٠٩، بعنوان: النظم القرآني في سورة هود عليه السلام، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة.
٣ – دراسة: نصر الدين شيحا ٢٠٢٠، بعنوان: دلالات اختيار المفردة القرآنية عند الألوسي، بحث منشور في المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ١٢، العدد (٢).

وهذه دراسات عامة، تشترك مع دراستي في جزئيات يسيرة من الإطار المفاهيمي، وتباينها تمامًا في الجانب التطبيقي، فقد ركز بحثي هذا في جانبه التطبيقي على جهود ابن عثيمين في تفسيره في إبراز بلاغة القرآن الكريم في اختيار المفردة، وما تلقيه من ظلال دلالية.

٢. الإطار المفاهيمي:

١.٢ تعريفات عامة:

أ.تعريف الإيثار في اللغة والاصطلاح:

---

[٢] المنهج الاستقرائي: هو عملية ملاحظة الظواهر وتجميع البيانات عنها للتوصل إلى مبادئ عامة، وعلاقات كلية.
وأما المنهج التحليلي فهو: هو أسلوب البحث الذي يهدف إلى تحليل المحتوى الظاهري أو المضمون الصريح للظاهرة المدروسة ووصفها وصفًا موضوعيًا ومنهجيًا. انظر: المحمودي، محمد سرحان، **مناهج البحث العلمي**، ص٦٠، و٧٣.

الإيثار في اللغة: مصدر آثر، ويأتي بمعنى: التفضيل والتقديم والاختيار. قال ابن فارس: "أثر؛ الهمزة والثاء والراء، له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي، يقال: لقد أثِرْتُ بأن أفعل كذا، وهو همٌّ في عَزْم. وتقولُ: افعل يا فلان هذا آثِراً ما. وآثِرَ ذي أثير؛ أي إنْ اخترتَ ذلك الفعل فافعلْ هذا. وقال ابنُ الأعرابي: معناه افعلْه أوّلَ كلِّ شيء"[٣]، قال الله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾[يوسف:٩١]، أي: قدم اختيارك علينا... وآثرتُكَ إيثاراً، أَي: فَضَّلْتُك[٤].

الإيثار في الاصطلاح: هو أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه[٥].

ب.تعريف الكلمة: هي لفظةٌ دالة على معنىً بالوضع[٦].

أقسام الكلمة: الكلمة ثلاثة أقسام: اسم وفعل وحرف.

فالاسم عند النحاة ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بزمن كرجل وفرس[٧]. والفعل: ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة[٨]، الماضي، والمضارع، والأمر. والحرف: ما دل على معنى في غيره، ومن ثمّ احتاج في جزئيّته إلى اسم أو فعل[٩].

ج.تعريف الجملة في اللغة والاصطلاح:

الجملة في اللغة: مفرد، وتعني: جَماعَةُ الشيء كأنها اشتُقَّت مِن جُمْلَة الحَبلِ لأنها قُوَى كثيرةٌ جُمِعَتْ فأَجْمَلَت جُمْلةً[١٠].

الجملة في الاصطلاح: "ما تركَّب من كلمتينِ فصاعداً، بشرطِ الإسنادِ، أفاد أم لم يفد"[١١].

د. تعريف النظم القرآني:

---

[٣] ابن فارس، أحمد بن زكريا، **مقاييس اللغة**، ج١، ص٧٥.

[٤] مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج١٠، ص٢٠.

[٥] الشريف الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات**، ص٤٠.

[٦] المطرزي، ناصر الدين عبد السيد، **المغرب في ترتيب المعرب**، ح٢، ص٤٠٢.

[٧] الجوجري القاهري، شمس الدين محمد بن عبد المنعم، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، ج١، ص١٤٤.

[٨] ابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان بن عمر، **الكافية في علم النحو**، ص٤٤.

[٩] **المصدر السابق**، ص٥١.

[١٠] مرتضى الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٨**، ص٢٣٨.

[١١] البجائي الأندلسي، شهاب الدين، أحمد بن محمد، **الحدود في علم النحو**، ص٤٧٤.

النظم في اللغة: الجمع والضمُّ والقرن والتأليف والترتيب، قال في لسان العرب: "النَّظْمُ التأْليفُ، نَظَمَه يَنْظِمُه نَظْماً ونِظاماً، ونَظَّمه فانْتَظَم وتَنَظَّم، ونظَمْتُ اللؤْلؤَ أي جمعته في السِّلْك، والتنظيمُ مثله، ونَظَمَ الأَمرَ على المثَل، وكلُّ شيء قَرَنْتَه بآخر أو ضَمَمْتَ بعضَه إلى بعض فقد نَظَمته، والنَّظْمُ المَنْظومُ، والجمع أَنْظِمة وأَناظيمُ ونُظُمٌ، والانْتِظام الاتِّساق، وتَناظَمتِ الصُّخورُ تلاصَقَت"[١٢].

النظم في الاصطلاح: هو تأليف الكلمات والجمل مُرتَّبة المعاني، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل[١٣].

والنظم القرآني يعبر عن بناء النص في جمله وسوره وآياته، وربطه بما قبله وما بعده، بأوضح عبارة في أعذب سياق وأجمل نظم، و"نظم القرآن: عبارته التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولفظاً"[١٤].

ونعني بإيثار كلمة على كلمة في النظم القرآني في هذا البحث: اختيار كلمة أو لفظة أو جملة، وتفضيلها على غيرها في النظم القرآني؛ لتظهر دلالة الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

هـ.تعريف الفاصلة في اللغة والاصطلاح:

الفاصلة في اللغة: الحاجز بين الشيئين، وكل ملتقى عظمين من الجسد كالمفصل... والفاصلة: الخرزة تفصل بين الخرزتين في النظام[١٥].

الفاصلة في الاصطلاح: عرف أبو عمرو الداني رحمه الله (ت٤٤٤هـ) الفاصلة بأنها: كلمة آخر الجملة[١٦]، وعرفها الزركشي رحمه الله (ت٧٩٤هـ) بقوله: "وهي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع"[١٧]، وهذه النهايات إما أن تتماثل في أواخر حروفها، أو تتقارب صيغ النطق بها[١٨]، وقد ورد الفصل في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[فصلت: ٣].

الفرق بين الجملة القرآنية والنظم القرآني:

---

[١٢] ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ج١٢، ص٥٧٨.

[١٣] مصطفى، إبراهيم، **المعجم الوسيط**، ج٢، ص٩٤١.

[١٤] **نفس المصدر السابق، ونفس الجزء والصفحة.**

[١٥] الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، ص١٣٤٧.

[١٦] بدر الدين الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، ج١، ص٥.

[١٧] **نفس المصدر السابق، ونفس الجزء والصفحة.**

[١٨] الجرمي، محمد أبراهيم، **معجم علوم القرآن**، ص٢٠٨.

من خلال تعريف الجملة القرآنية والنظم القرآني يمكننا التفريق بينهما في الآتي:

١ – الجملة القرآنية جزء من النظم القرآني، لأن الجملة مكونة من كلمتين فأكثر أسندت إحداهما إلى الأخرى، بينما النظم مكون عدة جمل قرن بعضها ببعض في تنسيق متين ومتناسق ومحكم.

٢ – الفرق من ناحية فواصل الآيات: الجملة القرآنية تنتهي بكلام تام، وقد تنتهي بفاصلة موزونة أو لا، بينما النظم القرآني يراعى فيه فواصل الآيات ودلالة السياق من أوله إلى آخره.

٢.٢ نبذة مختصرة عن الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

اسمه ونسبه: هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي. عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، وأستاذ بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، وإمام وخطيب الجامع الكبير بمدينة عنيزة.

مولده ووفاته: ولد في مدينة عنيزة في ٢٧ رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ الموافق ١٩٢٩م، وتوفي في ١٥ شوال ١٤٢١هـ، الموافق ٢٠٠١م، عن ٧٤ عاما حفلاً بالعلم والتعليم[١٩].

نبذة عن تفسير ابن عثيمين:

لم يفسر ابن عثيمين القرآن الكريم كاملاً حيث وافاه الأجل ولم يتم ذلك، وأما السور والأجزاء التي فسرها وهي حالياً مطبوعة ومتوفرة بين أيدينا فهي: الفاتحة، البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الكهف، النور، النمل، القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، الأحزاب، سبأ، فاطر، يس، الصافات، ص، الزمر، غارف، فصلت، الشورى، الزخرف، محمد، الحجرات، جزء (الذاريات، قد سمع، تبارك، عمَّ)، وبعض تفاسير هذه السور كانت شرحا لتفسير الجلالين

٣.٢ صور الإعجاز البياني في القرآن الكريم:

يتمثل الاعجاز البياني في القرآن الكريم في جملة من الصور، وأهمها: الكلمة لقرآنية، والجملة القرآنية، والنظم القرآني، والفاصلة القرآنية، وإليك بيان ذلك:

أولًا: الاعجاز البياني في الكلمة القرآنية: تعتبر الكلمة اللبنة الأولى المستخدمة في البناء اللغوي والتعبير، وهي وسيلة التخاطب والتعايش بين الناس، وهي أداة الإنسان التعبيرية لتوصيل المعاني ونقل الأفكار والمشاعر والأحاسيس، كما تُعَدُّ وسيلة الجمال الأدبي والبلاغي، والمتكلم لا يكون بليغًا حتى يعطي اللفظ حقه في

[١٩] ينظر: ابن عثيمين، محمد بن صالح، **مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المقدمة**، باختصار وتصرف.

البيان، ومكانه من المعنى، ويضعه في موضعه المناسب ليتحلى بمنزلته البلاغية؛ وعليه فلا بد أن يتوفر في اللفظ البليغ أسس خمسة هي:

١. أن يكون اللفظ أخصّ بمعناه، فليس هنالك لفظ يقوم مقام لفظ آخر هو به أخص من غيره.
٢. أن يكون اللفظ أكشف عن معناه، بحيث لا يستبقي من خبيات معناه ما لا يمكن للأشعة أن تبلغه.
٣. أن يكون اللفظ أتم للمعنى بحيث يحيط بكل دقائقه ورقائقه وشوارده وأوابده، ومن ثم فليس كل لفظ سواه قادر على الإيفاء بحق المعنى المراد.
٤. أن يكون اللفظ أحرى بأن يكسب المعنى نبلاً لا يكون له إذا لم يكن هو المعبر عنه والدال عليه، فكأن في بعض الألفاظ من العطاء الزائد للمعاني ما ليس لبعضها، إما بجرسها أو صيغتها أو موقعها.
٥. أن يكون اللفظ أحرى بأن يُظهر في المعنى مزية خبيئة لا تظهر بغيره[٢٠].

هذه هي شروط اللفظ البليغ، ولو فحصنا الكلمة القرآنية لوجدنا فيها مزية لا نجدها في الكلمات التي يتكون منها كلام الناس وتعابيرهم مهما سمت في مدارج البلاغة والبيان. ذلك أن الكلمة ميتة ما دامت في المعجم، فإذا وُصلت بأخواتها في التركيب، ووُضعت في موضعها الطبيعي من الجملة، دبّت فيها الحياة، وسرت فيها الحرارة[٢١].

إنَّ النص القرآني معجز من جهة اختياره اللفظ الأليق بالمقام على وجه لم يعهده البشر، يقول الإمام أبو بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، عن كلمات القرآن: "ثم انظر في آية آية، وكلمة كلمة هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم وبديع الرصف، فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية، وفي الدلالة آية، فكيف إذا قارنتها أخواتها وضامتها ذواتها مما تجري في الحسن مجراها وتأخذ في معناها"[٢٢]. وهذا يجعلنا نؤكد أن المفردة القرآنية بحد ذاتها تعتبر من معالم الإعجاز البياني، ويتمثل إعجازها في الآتي:

١ – الدقة التامة في اختيار المفردات: فكل كلمة تأتي في مكانها المناسب لها، فلو غير موضعها بتقديم أو تأخير أو جمع أو تثنية أو إفراد؛ لتأثر المعنى ولم يؤد ما أريد منه، وكذلك لو جيء مكانه بكلمة خرى ترادفه؛ لم تقم بالمطلوب أبداً. نحو قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الفاتحة:٢]، هل هناك كلمات في اللغة يمكن أن تؤدي نفس معنى ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾، وتفي بالمراد ولو كانت مقاربة له؟ كان بالإمكان أن يقول: (الشكر لله) مثلًا، ولكن ماذا عن المعنى العام؟ فالشكر يكون على ما وصل للشخص من النعم، أما

---

[٢٠] ينظر: سعد، محمود توفيق، **نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبد القاهر الجرجاني**، ص٩.

[٢١] الزيات، أحمد حسن، **دفاع عن البلاغة**، ص٨٢.

[٢٢] أبو بكر محمد بن الطيب، **إعجاز القرآن**، ص١٩٠.

(الحمد) فيكون على ما وصل إليه وإلى غيره، ويختص (الشكر) بالنعم ولا يوجه للصفات، فنحن لا نشكر فلاناً لأنه يتصف بصفة العلم أو الرحمة أو غيرها من الصفات الذاتية له، أما (الحمد) فيكون ثناء على النعم، وعلى الصفات الذاتية، وإن لم يتعلق شيء منها بنا، فالشكر أضيق نطاقًا، إذ يختص بالنعم الواصلة إلى الشخص الذي يشكر فحسب[٢٣].

٢ – ائتلاف اللفظ مع المعنى: إن المفردة القرآنية في موضعها تمتاز عن سائر مرادفاتها اللغوية بتطابق أتم مع المعنى المراد. ولها دلالتها التي لا يمكن أن تعوضه كلمة قرآنية أخرى غيرها، لأن ذلك سيخل بالجانب البياني والبلاغي للآية، يقول الشيخ ابن عثيمين: "القرآن قد يأتي بالكلمتين المختلفتين في موضعين وتكون كل واحدة منهما في موضعها أبلغ من الأخرى"[٢٤]. ثم يوضح أن بلاغة القرآن الكريم التَّامَّةُ تكون حيثُ يختار في كُلِّ تَركيبٍ ما يُناسبُ الحالَ"[٢٥]. ذلك أن ألفاظ القرآن الكريم مسوقة في موقعها المناسب متلائمة مع ما قبلها وما بعدها، موصوفة بحسن الجوار، ولا يقوم غيرها مقامها، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴾[بيوسف:٨٥]، فلفظة: ﴿تَفْتَؤُاْ﴾، تنفرد بدلالة خاصة، فهي تأتي بمعنى (سكن)، وبمعنى (نسي)، وبمعنى (أطفأ النار)، أي: أنت لا تنسى ذكر يوسف ولا تزال تذكره. لن تسكن ولن تكف عن ذكره، ولن تنطفئ نار قلبك وحرقتك عليه، لذا أوثرت هذه الكلمة دون أخواتها؛ لأنها أنسب فعل يجمع المعاني الثلاثة المقصودة.

٣ – أثرها على السمع وتأثيرها في السامع: ليس في القرآن لفظ ينبو عن السمع، أو يتنافر مع ما قبله أو ما بعده، فالكلمة القرآنية في الذروة من الفصاحة، وهي تحمل المعنى في طياتها، ومثال ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾[النازعات:٢٧ – ٢٩]، فكلمة: ﴿وَأَغْطَشَ﴾، قدمت المعنى في تلافيف حروفها قبل أن تقدمه في معناها اللغوي المعجمي المحفوظ، وفي الوقت نفسه هي منسجمة مع ما قبلها وما بعدها من الألفاظ، لا ثقل فيها ولا إغراب، وكذلك بقية ألفاظ الآية[٢٦].

---

[٢٣] ياسوف، **جماليات المفردة القرآنية**، ص٣٥٠.

[٢٤] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، السجدة**، ص٢٨٩.

[٢٥] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، فصلت**، ص٣٣٠.

[٢٦] ينظر: البغا، مصطفى ديب، بالاشتراك، **الواضح في علوم القرآن**، ص١٦٧-١٦٨.

٤ – اتساع دلالة المفردة القرآنية: فالقرآن الكريم يعبر بكلمة واحدة عن معنى لا يستطاع التعبير عنه إلا ببضع كلمات أو جمل، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾[الواقعة:٧١ – ٧٣]. ففي هذه الآية حديث عن مظاهر نعمته تعالى علينا، ومن جملتها النار، فنبهنا إلى مختلف فوائدها لحياتنا على اختلاف أطوارها، فعبر عن ذلك بكلمة: (المقوين)، التي تحمل كل المعاني التي يمكن أن يعبر بها عن فوائد النار، فهي: جمع مقوٍ، وهو المسافر، والجائع، والمستمتع.

٥ – ما تغرسه الكلمة من روعة ورونق وبهاء: ومن معالم الإعجاز في المفردة القرآنية ما تغرسه الكلمة في موضعها من روعة جمالية ورونق وبهاء؛ ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[الأنعام:٩٦]؛ فانظر إلى كلمات: ﴿ فَالِقُ﴾، ﴿ٱلْإِصْبَاحِ ﴾، ﴿ سَكَنًا ﴾، وحاول أن تستبدلها بغيرها من مرادفاتها؛ فلسوف ترى أن اللغة كلها أعجز من أن تأتي بألفاظ تدانيها في الدلالة على المعنى، وتصوير الأحاسيس. ومهما غيّرت في الآية أفسدت من بهائها ونقصت من روعتها وإشراقها. ولا يمكن لأيّ كلمة أن تقوم مقام: ﴿ فَالِقُ﴾ في أداء المعنى، وتصوير المراد، وتجسيد الفكرة، أو ابحث عن أي كلمة أخرى تضعها موضع ﴿ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ في دلالتها على الحركة والانبثاق وبثّ الصورة المطلوبة، أو حاول أن تأتي بكلمة أخرى مكان ﴿ سَكَنًا ﴾ التي تبعث على الطمأنينة، وتنشر الأمن والراحة في أنحاء النفس.

٦ – إفادة التصوير: وذلك أن الكلمة القرآنية تقدم للقارئ صورة فنية، وتستقل برسم مشهد، أو نقل حركة، أو تشخيص فكرة، وتقدّم تجسيمًا للمعنويات المجردة، وتبرزها أجسامًا أو محسوسات، لتزيد المعنى تمكنًا من النفس وتأثيرًا فيها، ومن ذلك قوله تعالى في اليهود: ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾[البقرة:٩٣]، فلننظر كلمة: ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ ﴾ كيف تصور حب اليهود لعبادة العجل وتغلغله في قلوبهم وتداخله فيها كما يتداخل الصبغ في الثوب. قال ابن عثيمين رحمه الله: "ومعنى ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ ﴾ أنه جُعل هذا الحب كأنه ماء سقي به القلب، فامتزج بالقلب كما يمتزج الماء بالمدر إذا أشرب إياه، والمدر هو الطين اليابس فهذا القلب أُشرب فيه حب العجل، ولكن عبر بالعجل عن حبه؛ لأنه أبلغ؛ فكأن نفس العجل دخل في قلوبهم؛ والذي أشرب هذا في قلوبهم هو الله سبحانه وتعالى؛ ولكن من بلاغة القرآن أن ما يكرهه الله يعبر عنه غالبًا بالبناء لما لم يسم فاعله؛ لأن النبي ﷺ

يقول: (والشر ليس إليك)[٢٧]، وقال الله تعالى عن الجن: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾[الجن:١٠] ففي الشر قالوا: ﴿أُرِيدَ﴾، ولم ينسبوه إلى الله؛ أما الرشد فنسبوه إلى الله عزّ وجلّ"[٢٨].

٧ – فصاحة الكلمة المفردة: ومن معالم الاعجاز في الكلمة القرآنية اشتمالها على شروط فصاحة الكلمة العربية، التي تتمثل في:

- أن يكون تأليف الكلمة من حروف متباعدة المخارج.
- أن تجد لتأليفها في السمع حسنا ومزية على غيرها.
- ألاَّ تكون ساقطة أو عامية.
- ألا تكون شاذة ولا جارية على العرف العربي الصحيح.
- ألاَّ تكون قد عبّر بها عن أمر آخر يكره ذكره.
- أن تكون معتدلة غير كثيرة الحروف[٢٩].

ثانيًا: معالم الإعجاز البياني في الجملة القرآنية: تتجلى مظاهر الإعجاز البياني في الجملة القرآنية في الآتي:

١ – الاتساق اللفظي والإيقاع الداخلي: تتألف الجملة القرآنية من كلمات وحروف ذات أصوات يستريح لتآلفها السمع والصوت والنطق، ويتكون من اجتماعها وترتيبها نسق جميل، ينطوي على إيقاع خفي رائع، ما كان ليتم لو نقصت الجملة كلمة أو حرفًا، أو اختلف ترتيب ما بينها بأي شكل من الأشكال، ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴾[القمر:٣٦]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾[القمر:١١ – ١٤]، وقد تناسقت الكلمات في كل جملة منها، وتآلف الحروف فيها، كما تآلفت الحركات والسكنات والمدود وتعاطفها مع بعضها.

٢ – القصد في الألفاظ والوفاء بالمعاني: الجملة القرآنية في النظم القرآني كله – مهما تنوعت موضوعاته – تدل على المعنى المطلوب بعيدًا عن الاختصار المخل والإطناب الممل، كما تدل عليه بعبارات – وإن

---

[٢٧] النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم: ٧٧١، ج١، ص٥٣٤.

[٢٨] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة والبقرة**، ج١، ص٣٠٤.

[٢٩] ينظر: مسلم، مصطفى محمد، **مباحث في إعجاز القرآن**، ص١١٩.

كانت موجزة – إلاَّ أنها قوية في الدلالة، محكمة السرد دقيقة السبك، متينة الأسلوب، ومن شواهد ذلك، قول الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[الأعراف:١٩٩]، فجمعت الآية مكارم الأخلاق كلها؛ لأن في ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾ صلة القاطعين والصفح عن الظالمين، وفي الأمر بالمعروف تقوى الله، وصلة الأرحام، وصرف اللسان عن الكذب، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم، وتنزيه النفس عن مماراة السفيه[٣٠].

قول الله تعالى: ﴿ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴾[النازعات:٣١]، فدل بكلمتين موجزتين على جميع ما أخرجه من الأرض؛ قوتاً ومتاعاً للأنام، من العشب والشجر والحب والتمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح؛ لأن النار من العيدان والملح من الماء[٣١].

٣ – إخراج المعنى المجرد في مظهر الأمر المحسوس الملموس: من خلال التلاوة لآيات القرآن الكريم والعيش معها تجد من صياغة الجملة ذاتها، ومن تآلف كلماتها مع بعض، مرآة يتجسد فيها المعنى المطلوب، ويبرز محسوساً ومصورًا أمام خيال القارئ. وتلك هي الطريقة الغالبة لتصوير المعاني وتجسيدها أمام المخيلة في كتاب الله عزّ وجلّ. فحتى عند ما تجد الجملة القرآنية بعيدة عن استعمال المجاز والاستعارة والكنايات، ترى هذه الظاهرة بارزة متجلية في جمل القرآن وآياته. فهي تبث الروح والحركة في هذا المظهر نفسه؛ بحيث يجد القارئ إقناع العقل، وإمتاع العاطفة، بما يفي بحاجة النفس البشرية تفكيراً ووجدانًا، في تكافؤ واتزان، فلا تطغى قوة التفكير على قوة الوجدان، ولا قوة الوجدان على قوة التفكير، وهكذا تجد وأنت تقرأ القرآن أن العقل يفهم والخيال يتصور، وذلك خلاف المألوف والمعروف لدى قراءة أي كلام أو كتاب آخر، ومن أمثلة ذلك:

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴾[مريم: ٤]، فقد صورت الآية سريان الشيب في الرأس بالشيء المشتعل، ثم إن في إسناد الاشتعال للرأس وليس للشعر إفادة الشمول وأن هذا الشيب قد شاع في رأسه كله وأخذه من جميع نواحيه. فالمعنى المراد، أنه كبر في السن وشاب، لكن المعنى الذهني يعرض في صورة حسية موحية ومؤثرة، فيها حركة الشيب في الرأس، مصوّرة من خلال حركة اشتعال النار، وهي حركة بطيئة متدرّجة، حتى تعمّ الرأس كلّه، كما تعمّ النار الأشياء المشتعلة،

---

[٣٠] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، ج٣، ص٢٢٦.

[٣١] الزركشي، **المصدر السابق**، ج٣، ص٢٢٦.

وفيها اللون أيضا، فلمعان الشيب يشبه لمعان النيران، فهذه الصورة الحسية، ترسم دقائق المعنى وتفاصيله في لونه وحركته وشموله للرأس كله[٣٢].

ثالثاً: معالم الاعجاز البياني في النظم القرآني: إن النظم القرآني البديع بهر العرب بحسن مبادئ الآي والمقاطع وتماسك الكلمات واتساقها في التراكيب، وقد تأمّلوه آية آية، وعشراً عشراً، وسورة سورة، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها، مكانها ولفظة ينكر شأنها، أو يرى غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أحرى، بل وجدوا اتساقا بهر العقول وأعجز أهل الحكم والبلاغات، ونظاماً والتئاماً وإتقاناً وإحكاماً، لم يدع في نفس واحد منهم موضع طمع حتى خرست الألسن أن تدّعي وتتقوّل[٣٣]، وأقروا في قرارة أنفسهم أنه كلام معجز ولا يمكن لبشر أن يأتي بمثله ولا بقريب منه، حتى قال قائلهم: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلوا وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته[٣٤]. وتكمن معالم الإعجاز البياني في النظم القرآني فيما يأتي:

١ – خروج النظم القرآني عن المعهود من نظام كلام البشر، ومباينته لترتيب خطابهم: مما يميز النظم القرآني أنه خارج عن المعهود من نظام كلام البشر، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، وأن نظمه على كثرة سوره وطولها وقِصرها تتميز بتناسب في الفصاحة على ما وصفه الله به؛ إذ يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾[الزمر: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾[النساء: ٨٢]، أما كلام الآدمي إن امتد وقع فيه التفاوت، وبان عليه الاختلال[٣٥]

٢ – تجاوزه لحدود كلام البشر المعتاد في الفصاحة، والبلاغة، والإبداع، وعجزهم عن الإتيان بمثله: ومن أمثلة ذلك بديع التشبيهات والتمثيلات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴾[الدخان: ٤٣ – ٤٨]، فهذه الآيات القصار يسوقها القرآن في شأن كل كافر، وما يلقاه من عذاب يوم القيامة؛ لقد اشتمل إطار هذه الآيات على أكثرَ من تشبيه، في صورة ترسم هول العذاب الذي يلقاه الكافر في جهنم، تعجز كل وسائل التعبير الأخرى عن بلوغ مدى هذه الصورة في التأثير القوي الذي

---

[٣٢] الراغب، عبد السلام، **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، ص١٢٩.

[٣٣] **نفس السابق** والصفحة.

[٣٤] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ج١٥، ص٧٣.

[٣٥] ينظر: الباقلاني، أبو بكر، **إعجاز القرآن**، ص٣٥، بتصرف.

لا يقف عند جوانب الحس، وإنما يتعداها إلى كل أبعاد النفس البشرية، فيزلزل قوى الشر فيها، وتقوم كل كلمة في هذه الآيات بأداء دورها في تحقيق الغرض، وإبداع هذه الصورة القرآنية المعجزة مع تناسق تام والتئام عجيب. وإن أول ما يدعو إلى التأمل رصف تلك الألفاظ في إطار التشبيه: ﴿ٱلزَّقُّومِ﴾، ﴿ٱلْأَثِيمِ﴾ ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾، ﴿يَغْلِي﴾، ﴿ٱلْحَمِيمِ﴾، وإذا كان الزقوم من أخبث الشجر المر الذي يعرفه القوم من بين ما يعرفونه من نبت الصحراء، وتنفر منه نفوسهم، فإن النظم القرآني لا يقف عند حدود هذه المعرفة على ما فيها من قدر كبير من بشاعة هذا الشجر المر، بل يضيف إليها عن طريق التصوير البياني ما يزيد النفس منها نفورًا، فاعتصار هذه الشجرة الخبيثة ومصلها المر: ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ﴾[الدخان: ٤٥] أي: كدردي الزيت الأسود المغلي، أو كالمعدن المصهور المذاب يلقى به في البطون، فهي أوعيته، فيا لبشاعة المنظر، وقبل أن تُفيق النفس من هول هذه الصورة وتثوب إلى رشدها، تسلمها الآيات إلى صورة أخرى تدفع بها في طريق الخوف إلى مدى أبعد، فيأتي قوله: ﴿يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾[الدخان: ٤٥ - ٤٦]. فالآيات هنا تصور في مشهد مفزع ما سيحدث للكافر يوم القيامة، ومع بدائع هذا النظم المعجز، وما اكتنف الآيات من سابق ولاحق؛ نقف أمام أحداث تلك القوارع التي لم يزل يتفوه بها الزمن وتزول الفواصل بين ماضٍ وحاضر ومستقبل، حتى ليخيل إلينا أن الآيات هنا تحكي أحداثًا وقعت بالفعل، ومضت عليها القرون، مع أنها في الواقع أمور مستقبلية سوف تحدُث بعدَ أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن الآيات التي تستحق الوقوف طويلاً للتأمل في طريقة نسجها وتأليفها، قوله سبحانه وتعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾[الدخان: ٤٧]، فإن كلمة ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ من التأثير ما ليس لغيره مما نفسرها به؛ إذ تجسد صورة جر الكافر إلى وسط النار بأقصى العنف والغلظة، وهذا من بديع نظم القرآن؛ إذ تقرن في تأليفه كل لفظة لا تبغي حولاً عن مكانها من حيث حسن النظم وقوة المعنى[٣٦].

٣ – الإتقان والإحكام البديع في النظم: إن الإتقان والإحكام البديع في النظم القرآني يدل على أنه كلام من أحاط بكل شيء علمًا، فهو خارج عن قدرة البشر، ولا يستطيع أفصح الناس وأبلغ العالم مضاهاته، لما فيه من قوة التركيب وحسن السبك، وجودة التأليف، يدرك هذه الميزة كل من يملك أدنى ذوق يحتكم إليه في حسن الأسلوب وقوته، ووضوحه، وجماله، فإذا سمع أحد آيات الله تتلى في بيت من بيوت الله، أو في منتدى قوم، أو على قارعة طريق أحس من أعماقه أن هذا الكلام الذي يسمعه ما هو إلا قرآن عظيم. ولو أخذت لفظة من ألفاظه من مكانها وأفردتها عن أخواتها لم تكن لابسة من الحسن والرونق ما لبسته في موضعها من الآية ولكل

[٣٦] حجاب، السيد عبد الفتاح، **من بدائع النظم القرآني**، ص١٤.

كلمة مع صاحبتها مقام، قال العلامة ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) رحمه الله: "ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسن في الاستعمال، وهما على وزن واحد وعدة واحدة، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه، بل يفرق بينهما في مواضع السبك، وهذا لا يدركه إلا من دقَّ فهمه وجلَّ نظره"[٣٧].

٤ – مزج مقاصد القرآن الكريم وأغراضه، وتفريقها في سوره وتكريرها دون ملل أو سأم: ومن سمات النظم القرآني مزج المقاصد والأغراض التي يهدف إليها، وتفريقها في السور الكثيرة، والطويلة منها والقصيرة، بالمناسبات المختلفة، وتكرارها بالعبارات البليغة المؤثرة في القلوب، المحركة للشعور، النافية للسآمة والملل من المواظبة على ترتيلها بنغمات نظمه الخاص به، وفواصله المتعددة القابلة لأنواع من الإيحاءات الصوتية التي تحرك في القلب وجدان الخشوع، والرغبة والرهبة، والعرفان بكمال الله تعالى[٣٨].

٥ – مغايرة المعنى لمغايرة اللفظ، وهو غير التناقض، ومثال ذلك قوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾[الأنعام: ١٥١]، فإن معنى هذه الآية بهذا النظم يغاير قوله تعالى في نفس المعنى لنظم آخر: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾[الإسراء:٣١]. ففي الآية الأولى قدم الله تبارك وتعالى وعده بالرزق للآباء عن وعده برزق الأبناء، وفي الآية الثانية يأتي العكس، وسبب المغايرة بينهما أن الخطاب في الآية الأولى للفقراء؛ بدليل قوله: ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾، فاقتضت البلاغة تقديم وعد الآباء المملقين بما يغنيهم من الرزق، واقتضت تكميل المعنى بعِدَة الأبناء بعد عِدَة الآباء ليكمل سكون الأنفس ولم يبقَ لها تعلق بشيء. وفي الآية الثانية الخطاب للأغنياء؛ بدليل قوله: ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾، فإنه لا يخشى الفقر إلا الغني، أما الفقير ففقره حاصل؛ فاقتضت البلاغة تقديم وعد الآباء بالرزق، ليشير هذا التقديم إلى أن الله وحده هو الذي يرزق الأبناء؛ ليزول ما توهمه الأغنياء، من أنهم بإنفاقهم على الأبناء سيصيرون إلى الفقر بعد الغنى، ثم كمل الطمأنينة بعِدَتهم بالرزق بعد عدة أبنائهم.

رابعاً: معالم الإعجاز البياني في الفاصلة القرآنية: تعدُّ الفواصل القرآنية مظهرًا من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، وأثرًا من آثار نظمه ورصفه. وأبرز ما يكون هذا التجلي في ذلك التناسق والتناغم الصوتي المذهل، وفي ذلك الإيقاع اللغوي الآسر، الذي برّ كل أساليب أساطين البيان، وجعلهم حيارى لا مرام لهم ولا مطمع في أن يقاربوا أو يدانوا بيان القرآن الكريم ونظمه ولغته، ولقد كانت هذه الفواصل البديعة إمتاعا للشعور والعاطفة،

---

[٣٧] ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج١، ص١٦٤.

[٣٨] رضا، محمد رشيد، **الوحي المحمدي**، ص١٤٤.

وخطابا للعقل، وإثراء وتفننا فيما لم يألفه العرب في خطابهم...والفاصلة القرآنية مرتبطة بسياق الكلام ارتباطًا محكمًا، وهي مفصحة عن معان زائدة مرادة، يفتقر السياق إليها ويتطلبها. ومن ثمّ لم تكن حلية لفظية فحسب كما هو الحال في الشعر في كثير من الأحيان[٣٩]، ويكمن الإعجاز البياني للفاصلة القرآنية في الآتي:

١ – التوافق التام بين الفواصل وكلمات الآية والتناسب التام مع الموضوع: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[آل عمران:٣٢]، وذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أن الفواصل تقع في قمة الإعجاز البلاغي وتحقيق الانسجام، فقال: "وفي قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ فسَّر بعضهم نفي المحبة بأن المعنى لا يثيبهم ولكن هذا تحريف، والصواب أنه لا يحبهم، وهو إذا لم يحبهم لن يثيبهم، فهذا انتفاء محبة الله عنهم. وقوله: ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ هو إظهار في محل الإضمار. ومقتضى السياق أن يقال: فإن تولوا فإن الله لا يحبهم، ولكنه أظهر في موضع الإضمار لفائدتين: إحداهما لفظية، والثانية: معنوية. والمعنوية، تتضمن ثلاث فوائد: الفائدة اللفظية: مراعاة الفواصل، فواصل الآيات، فإن قال: فإن تولوا فإن الله لا يحبهم لم تتناسب هذه الفاصلة مع الفواصل التي قبلها وبعدها. ومراعاة الفواصل من البلاغة؛ ألم تروا إلى قوله تعالى من سورة طه: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾[طه: ٧٠]، مع أنه في الآية الأخرى يقدم موسى عليه السلام، وهو أفضل من هارون لا شك وأحق بالتقديم، لكنه قدم هارون عليه السلام على موسى عليه السلام في هذه الآية من سورة طه من أجل مراعاة الفواصل، ولا شك أن القرآن في قمة البلاغة، فمراعاة الفواصل من البلاغة"[٤٠].

٢ – دلالة الفاصلة على الحكم الشرعي: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "أخذ الأحكام من أسماء الله عزّ وجل، وذلك لأن أسماء الله ولا سيما المتعدية لا بد أن يكون لها أثر، وقد تقدم أن الاسم المتعدي لا يتم الإيمان به إلا بإثبات اسمًا من أسماء الله وإثبات ما تضمنه من صفة، وإثبات الأثر، وجه ذلك قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[المائدة: ٣] والعلماء – رحمهم الله – يأخذون الأحكام من مثل هذا التعبير، مثل قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[المائدة: ٣٤] يعني: إذا تاب قطاع الطريق قبل القدرة عليهم سقط عنهم الحد. ويذكر أن أحد الأعراب سمع قارئًا يقرأ قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[المائدة: ٣٨] (والله غفور رحيم)، فقال الأعرابي: أخطأت، أعد الآية، فأعادها وقال: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (والله غفور رحيم)، فقال: أخطأت أعدها، فأعادها فأدركها في المرة الثالثة وقال: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ

---

[٣٩] ينظر: الجرمي، محمد إبراهيم، **معجم علوم القرآن**، ص٢١٠.

[٤٠] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة آل عمران**، ج١، ص١٩٩، ٢٠٠.

﴿أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[المائدة: ٣٨] قال: الآن أصبت؛ لأنه عز وحكم فقطع، ولو غفر ورحم ما قطع. انظر إلى الفهم، وهذا لا شك فيه"[٤١].

٣ – توضيح الكلام وتبيينه وتوكيده: ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾[النمل: ٨٠]، فالمعنى تم عند الدُّعاءَ، أما الفاصلة فقد بينت أنهم أدبروا، وذلك لينفي عنهم الفهم الحاصل من الإشارة، فكأن توليهم كان بكل جوانبهم، فأنى لهم أن يعقلوا ما لم يسمعوه أو يشاهدوه[٤٢].

٣. إيثار كلمة على أخرى في السياق القرآني وأثره الدلالي عند ابن عثيمين:

للشيخ ابن عثيمين رحمه الله نظرات ثاقبة، وموفقة في الكشف عن وجوه إعجاز القرآن الكريم في اختيار الكلمة القرآنية، وآثارها الدلالية، ويتجلى ذلك في المطالب الآتية:

١.٣ إيثار جملة على جملة وأثره الدلالي: وتحته جملة من الصور:

أ.إيثار الجملة الاسمية على الفعلية: من المعلوم أن الجملة الاسمية تدل على الثبات والاستمرار، ولهذا فحينما يقتضي الخطاب استمرار الشيء ودوامه فإنه يأتي بالجملة الاسمية المؤكدة له والدالة عليه، ومن أمثلة ذلك قوله جل شأنه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[البقرة: ١١]، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر؛ و﴿نَحْنُ﴾ مبتدأ؛ و﴿مُصْلِحُونَ﴾ خبر؛ والجملة اسمية؛ وهي تفيد الثبوت والاستمرار، فكأنهم يقولون: ما حالنا إلا الإصلاح؛ يعني: أنه ليس فيهم إفساد مطلقًا. ومن توفيق الله أنه لم يلهمهم، فيقولوا: إنما نحن المصلحون؛ فلو أنهم قالوا: نحن المصلحون كان مقتضاه أن لا مصلح غيرهم؛ لكنهم قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾، أي: ما حالنا إلا إصلاح؛ ولم يدَّعوا أنهم المصلحون وحدهم"[٤٣].

وقول الله تعالى: ﴿وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[فاطر:١٠] فقد انتهت الآية بجملة إسمية، وإيثار الجملة الاسمية هو يبور على الفعلية فلم يقل: (ومكر أولئك يبور)؛ من باب تعظيم هذا المكر وتهويله، ولبيان تلاشيه واضمحلاله[٤٤].

---

[٤١] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة المائدة**، ص٥٤.

[٤٢] الجرمي، **معجم علوم القرآن**، ص٢١١.

[٤٣] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، الفاتحة والبقرة**، ج١، ص٤٧.

[٤٤] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة فاطر**، ص٩١ بتصرف يسير.

وقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾[البقرة: ١٤٥]، فإيثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره، وإفراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة الحق، ولئلا يتوهم أن مدار النفي هو التعدد[٤٥]، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "والفائدة في هذه الآية: أنه يستحيل شرعًا أن يتبع المسلم طريقة اليهود والنصارى؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾؛ وجه الاستحالة: أن الجملة جاءت بالاسمية المؤكدة بحرف الجر في سياق النفي؛ فالمؤمن حقيقة لا يمكن أن يتابع أعداء الله، ولا أن يأخذ بآرائهم، وأفكارهم، واتجاهاتهم؛ وقد حمى النبي ﷺ ذلك غاية الحماية، حيث قال: (من تشبه بقوم فهو منهم)[٤٦] حتى نحذر، ونبعد عن التشبه بأعداء الله، والتقليد لهم سواء في أمور العبادة، أو في أمور العادة؛ فإن التشبه بأعداء الله حرام، وقد يؤدي إلى الكفر، والشرك والعياذ بالله[٤٧].

ب إيثار الجملة الفعلية على الاسمية وأثره الدلالي: الجملة الفعلية تدل على الحدوث والتجدد، ولهذا فحينما يقتضي الكلام تجدد وقوع الشيء أو تجدد بيانه؛ فإن القرآن الكريم يعبر عنه بالجملة الفعلية المستلزمة ذلك، ومثال ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[البقرة:٨٧] لم يقل: (وفريقاً قتلتم)، وإنما آثر الفاصلة بالجملة الفعلية؛ ﴿تَقْتُلُونَ﴾ ليدل على تجدد قتل اليهود للأنبياء واستمراره، منذ أن بعث فيهم أول نبي إلى خاتم الأنبياء والمرسلين، يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "والإتيان بفعل مضارع بالنسبة للقتل: مراعاة لفواصل الآية؛ لأنه لو قال: (فريقاً قتلتم) لم تتناسب مع التي قبلها، والتي بعدها؛ ثم إن بعض العلماء أبدى فيها نكتة: وهي أن هؤلاء اليهود استمر قتلهم الرسل حتى آخرهم محمد ﷺ فإنهم قتلوه بالسم الذي وضعوه له في خيبر؛ فإنه ﷺ ما زال يتأثر منه، وفي مرض موته، قال: (مازالت أكلة خيبر تعاودني، وهذا أوان انقطاع الأبهر مني)[٤٨]؛ قال الزهري: إن النبي ﷺ مات شهيدًا؛ لأن اليهود تسببوا في قتله؛ وهذا ليس ببعيد أن يكون هذا من أسرار التعبير بالمضارع في القتل؛ وإن كان قد يَرِدُ عليه أن التكذيب استمر حتى زمن الرسول ﷺ فلماذا لم يقل: فريقًا تكذبون وفريقًا تقتلون؟ والجواب عن هذا أن القتل أشد من التكذيب؛ فعبر عنه بالمضارع المستمر إلى آخر الرسل[٤٩].

---

[٤٥] العمادي، أبو السعود محمد بن محمد، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج١، ص١٧٥،

[٤٦] أبو داود، **سنن أبي داود**، حديث رقم: ٤٠٣١، ج٤، ص٤٤، وقال الألباني: (حديث صحيح)، ينظر: **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، ج٩، ص٣١.

[٤٧] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، الفاتحة والبقرة**، ج٢، ص١٣٨.

[٤٨] البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، **مسند البزار**، حديث رقم: ٨٠٠٧، ج٢، ص٤٠١، وقال الألباني: (حديث صحيح)، انظر: **الجامع الصغير وزيادته**، حديث رقم: ٥٦٢٩، ص١٠٥٧.

[٤٩] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، الفاتحة والبقرة**، ج١، ص٢٨٤.

٢.٣ إيثار اسم على اسم في السياق القرآني وأثره الدلالي: وله عدة صور، ومنها:

أ.إيثار اسم الفاعل على غيره: يلاحظ من النصوص القرآنية كثرة استعمال اسم الفاعل للدلالة على ما يدل عليه الفعل المضارع من تجدد الحدوث وتكراره، وهذا الاستعمال يندرج تحته ما يأتي:

١ – التصريح باسم الفاعل مباشرة: كما في قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٢]، والمعنى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة والحال أنه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر، أي: الجمع بينهما، وإيثار اسم الفاعل لأن المعتبر هو الاستمرار على الصبر، وللمحافظة على الفواصل[٥٠].

٢ – التعبير باسم الفاعل عن الفعل، كما في قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[البقرة: ٢٣٨] يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "المحافظة: الاستمرار في حفظ الشيء مع العناية به؛ ولم يبين الله في هذه الآية كيفية المحافظة؛ لكن بينت في مواضع أخرى من الكتاب والسنة؛ وهو أبلغ من قولك: (احفظ كذا)؛ بدليل أنك لو أعطيتني وديعة، وقلت: حافظ عليها، أو قلت: هذه وديعة احفظها لكان الأول أبلغ؛ فلهذا جاءت في الآية: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾[البقرة:٢٣٨][٥١].

٣ – التعبير باسم الفاعل عن اسم المفعول، ومنه قول الله تعالى: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[آل عمران:١٢٥]، ففي هذه الآية جاء التعبير باسم الفاعل: مسومين عن اسم مفعول منزلين، يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "فإن الله يمدهم بخمسة آلاف من الملائكة ليسوا منزلين فقط بل مسومين، أي: معلمين عَلَم الجهاد وعَلَم القتال، وهذا أبلغ من مجرد الإنزال، فالله تعالى تكفل بالزيادة، وهذا يعود إلى الكمية، وتكفل بالقوة والشجاعة وهذا يعود إلى الكيفية"[٥٢].

٤ – التعبير عن اسم الفاعل بصيغة مُفْتَعِل، كما قول الله تعالى: ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾[الزخرف:٤٢]، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "وقَولُهُ: ﴿مُّقْتَدِرُونَ﴾ ولم يقل: قَادِرُونَ لأن قادرون فِيهِ قُصُورٌ؛ لأَنَّ المقتَدِرَ أَبلَغُ مِنَ القَادِرِ، فإِنَّ زِيَادَةَ المبْنَى تَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ المعْنَى، فهُوَ أبلَغُ مِنَ القَادِرِ"[٥٣].

---

[٥٠] العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٢، ص٩١.

[٥١] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، الفاتحة والبقرة**، ج٣، ص١٧٨.

[٥٢] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة آل عمران**، ج٢، ص١٣٣.

[٥٣] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة الزخرف**، ص١٦٢.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[القمر: ٤٢]، " ﴿ مُّقْتَدِرٍ ﴾ أي: قادر، ولكنها أبلغ من كلمة قادر لما فيها من زيادة الحروف"[٥٤]. "فمقتدر هنا أوفق من قادر من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدّة الأخذ"[٥٥]. "وذلك أن افتعل لزيادة التاء فيه أقوى من معنى فعل، وأبلغ من معنى فاعل"[٥٦]. فالله هو المقتدر الذي لا قادر غيره ولا خير إلا خيره. وقد سار الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في القول ببلاغة (مقتدر) هنا على (قادر) معتمداً على قاعدة مشهورة، وهي زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى. وقد خرج بفائدة مهمة من الآية بناء على التفريق بينهما، فقال: "بيان غلبة قدرة الله عز وجل على كل قدره؛ لقَوْلِه: ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾، وهو كذلك، ولما قَالتْ عَادٌ: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[فصلت: ١٥]، قَال اللهُ عَزَّ وجلَّ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾، فلا قوة تمانع قوة الله عز وجل، وَلا قدرة تُمانِعُ قدرته، بل هو العزيز الغالب على كل أحد"[٥٧]، والاقتدار: شدة القدرة، واقتدر أبلغ من قدر[٥٨]، والمقتدر: مبالغةً في الوصف بالقدرة، فصيغة مفتعل أقوى من صيغة فاعل وأبلغ.

٥ – التعبير عن اسم الفاعل بصيغة فعيل، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾[الشورى:٢٩] و﴿قَدِيرٌ﴾ هنا بمعنى: قادر. "أتى باسم الفاعل الدال على وقوع الفعل دون الصفة المشبهة: قدير: الدالة على الاتصاف بالقدرة"[٥٩]. فإذا أراد الوصف أتي بصيغة فعيل فيقول: قدير؛ كما هو هنا، وإذا أراد الاسم؛ أتي بصيغة الفاعل فيقول: قادر؛ كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [الأنعام:٦٥] والقدرة، صفة تقوم بالقادر بحيث يفعل الفعل بلا عجز؛ والقوة صفة تقوم بالقوي بحيث يفعل الفعل بلا ضعف؛ إذًا المقابل للقدرة: العجز؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾[فاطر: ٤٤] والمقابل للقوة: الضعف، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾[الروم: ٥٤]، والفرق الثاني بينهما: أن القوة، يوصف بها من له إرادة، وما ليس له إرادة؛ فيقال: رجل قوي؛ وحديد قوي؛ وأما القدرة فلا يوصف بها إلا ذو إرادة؛ فلا يقال: حديد قادر[٦٠].

---

[٥٤] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، جزء عم**، ص١٤١.

[٥٥] ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، ج٣، ص٢٦٥

[٥٦] ابن جني، أبو الفتح عثمان، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، ج٢، ص١٩٤.

[٥٧] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة: الزخرف**، ص١٦٤.

[٥٨] ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج٢٥، ص٢١٨.

[٥٩] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، الفاتحة والبقرة**، ج٢، ص١٤٩.

[٦٠] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، الفاتحة والبقرة**، ج١، ص٣٤٨.

٦ – التعبير عن اسم الفاعل بصيغة فَعِل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾[القمر:٢٥] و(الأشر): اسم فاعل، تقول: أَشِر، إذا فرح وبَطَر، والمعنى: هو معجَب بنفسه مُدَّعٍ ما ليس فيه[٦١]. قال الشيخ عثيمين رحمه الله: "أشِر" أي: بطر متعال، متعاظم مستكبر، مدعٍ ما ليس له"[٦٢].

ب.إيثار اسم المفعول على غيره: ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾[الفاتحة: ٧] قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "هنا تتجلى بلاغة القرآن الكريم، حيث جاء التعبير عن المغضوب عليهم: باسم المفعول الدال على أن الغضب عليهم حاصل من الله تعالى، ومن أوليائه"[٦٣]؛ لأن النعمة من الله وحده ولهذا قال: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾[النحل: ٥٣] وأما الغضب على المخالف في دين الله يكون من الله، ومن أولياء الله من الرسل وأتباعهم"[٦٤].

ج.إيثار صيغ المبالغة على غيرها: صيغ المبالغة من الصيغ التي تدل على الكثرة والمبالغة في الوصف، وقد استخدمها القرآن الكريم للدلالة على الكثرة والتفخيم، ومن هذه الصيغ ما يأتي:

١ – إيثار صيغة فعّال على غيره: تأتي صيغة (فعَّال) للدلالة على المبالغة والنسبة، إلا أن يمنع من المبالغة مانع، ومما ورد في المبالغة قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾[سبأ: ٤٨] قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "وقوله ﴿عَلَّامُ﴾، بصيغة المبالغة؛ لأن الغيوب كثيرة، فناسب أن يضاف إليها العلم على سبيل المبالغة، كما أن فيه مبالغة أيضاً من حيث الكيفية لا من حيث الكمية فقط، فإن علم الله سبحانه وتعالى للغيوب ليس علمًا سطحيًا، بل هو علم عميق، يصل إلى أخفى شيء من الغيوب، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾[آل عمران: ٥]، والغيوب: جمع غيب، وهو ما غاب عن الإنسان، سواء كان في الحاضر أو الماضي أو المستقبل.

واستخرج ابن عثيمين رحمه الله من هذه الصيغة فائدة مهمة؛ وهي: علوُّ علم الله تعالى فيما شوهد وما غاب، فما غاب لقوله تعالى: ﴿ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾، وأما ما شوهد فهو من باب أولى، يعني: إذا كان يعلم الغيب، فالمشهود من باب أولى[٦٥].

---

[٦١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٧، ص١٩٨.

[٦٢] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة القمر**، ص٢٨٠.

[٦٣] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، الفاتحة والبقرة**، ج١، ص٢٠.

[٦٤] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، الفاتحة والبقرة**، ج٢، ص١٥٧.

[٦٥] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة سبأ**، ص٢٩١-٢٩٢.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[الذاريات:٥٨] قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "يعني: هو صاحب العطاء الذي يعطي، فالرزق بمعنى: العطاء، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾[النساء:٨]، أي: أعطوهم، وكلمة: الرزاق أبلغ من كلمة: الرازق؛ لأن الرزاق صيغة مبالغة تدل على كثرة الرزق، وعلى كثرة المرزوق، فرزق الله تعالى كثير باعتبار كثرة المرزوقين، فكل دابة في الأرض على الله رزقها، من إنسان وحيوان، ومن طائر وزاحف، ومن صغير وكبير، ولا يمكن أن نحصي أنواع المخلوقات على الأرض، ولو قلت لك أحصِ العوالم التي في الأرض ما استطعت، فضلاً عن أفرادها، فكل فرد منها فإن الله تعالى متكلف برزقه، ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[هود:٦]، فإذا كان الأمر كذلك صار رزق الله كثيراً باعتبار المرزوق، مَن يحصي المرزوقين؟ لا أحد يحصيهم أبداً، ورزقه كثير باعتبار الواحد، فكم لله عليك من رزق كثير لا يحصى، رزق الله لك دارٌ عليك ليلاً ونهارًا، رزقك عقلًا، وصحة، ومالًا، وولدًا، وأمنًا وأشياء لا تحصى، ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[النحل:١٨]، ولهذا جاء اسم الرزَّاق بالتشديد الدال على الكثرة"[٦٦].

٢ – إيثار صيغة أَفْعَل على فعيل: وصيغة (أفعل) تعني: الزيادة في الشيء والمبالغة فيه، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾[العلق:٣]، فهناك: (كريم) و(أكرم)، فأنت حين تتعلم من بشر فهذا دليل على كرم الله جل جلاله؛ لأنه يسر لك العلم على يد بشر مثلك، أما إذا كان الله هو الذي سيعلمك يكون أكرم؛ لأن ربك قد رفعك درجة عالية ليعلمك هو سبحانه وتعالى[٦٧]، فهو الأكرم: الزائد في الكرم على كل كريم، لأنه سبحانه وتعالى ينعم بلا عوض، ويحلم من غير تخوف، بل هو الكريم وحده على الحقيقة. ثم إن آية: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[العلق: ١]، قرنت بما يتعلق بالقدر، وآية: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ [العلق: ٣ – ٤] قرنت بما يتعلق بالشرع؛ لأن التعليم بالقلم أكثر ما يعتمد الشرع عليه، إذ إن الشرع يكتب ويحفظ، والقرآن يكتب ويحفظ، والسنة تكتب وتحفظ، وكلام العلماء، يكتب ويحفظ، فلهذا أعادها الله مرة ثانية[٦٨].

---

[٦٦] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة الذاريات**، ص١٦٩.

[٦٧] الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، ص٢.

[٦٨] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، جزء عم**، ص٢٦٠.

وقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾[الليل:١٧]، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "و﴿ٱلْأَتْقَى﴾ اسم تفضيل من (التقوى)، يعني: الذي اتقى الله تعالى حق تقاته[٦٩]. فهو الأتقى من كل تقيٍّ، والأوْرع من كل ورع، والأفْضل من كل فضيل.

٣ – إيثار صيغة فَعُول، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة:١٧٣] قال ابن عثيمين: "هذا تعليل للحكم؛ فالحكم انتفاء الإثم؛ والعلة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فـ﴿غَفُورٌ﴾: يحتمل أن تكون صيغة مبالغة –وقد ورد أن من صيغ المبالغة (فعول) – لكثرة مغفرته سبحانه وتعالى، وكثرة من يغفر لهم؛ فالكثرة هنا واقعة في الفعل، وفي المحل؛ في الفعل: كثرة غفرانه لذنوب عباده؛ وفي المحل: كثرة المغفور لهم؛ ويحتمل أن تكون صفة مشبهة. و﴿غَفُورٌ﴾: مأخوذ من الغَفْر؛ وهو الستر مع الوقاية؛ وليس الستر فقط؛ ومنه سمي المغفر الذي يغطى به الرأس عند الحرب؛ لأنه يتضمن الستر، والوقاية؛ ويدل لذلك أنه تعالى إذا خلا بعبده المؤمن يوم القيامة، وحاسبه: (قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم)"[٧٠].

٤ – إيثار صيغة فَعِيل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة:١٧٣]، قال ابن عثيمين: "قوله تعالى: ﴿رَّحِيمٌ﴾: صيغة مبالغة، أو صفة مشبهة من الرحمة؛ والرحمة صفة من صفات الله سبحانه وتعالى الذاتية الفعلية؛ فهي باعتبار أصل ثبوتها لله صفة ذاتية؛ وباعتبار تجدد من يرحمه الله صفة فعلية؛ ولهذا علقها الله سبحانه وتعالى بالمشيئة في قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾[العنكبوت:٢١]، فهي صفة حقيقية ثابتة لله عز وجل؛ وأهل التأويل –والأصح أن نسميهم أهل التحريف– يقولون: إن الرحمة غير حقيقية؛ وأن المراد برحمة الله إحسانه؛ أو إرادة الإحسان؛ فيفسرونها إما بالإرادة؛ وإما بالفعل؛ وهذا لا شك أنه خطأ؛ وحجتهم: أنهم يقولون: إن الرحمة رقة، ولين؛ والرقة، واللين لا تناسبان عظمة الخالق سبحانه وتعالى؛ فنقول لهم: إن هذه الرحمة رحمة المخلوق؛ أما رحمة الخالق فإنها تليق به سبحانه وتعالى؛ ولا تتضمن نقصاً؛ فهو ذو رحمة بالغة، وسلطان تام؛ فلا يرد بأسه عن القوم المجرمين[٧١].

وقد استخرج الشيخ ابن عثيمين رحمه الله من الآية السابقة فائدتين مهمتين هما: إثبات رحمة الله عز وجل؛ لأن من رحمة الله أن أباح المحَرَّمَ للعبد لدفع ضرورته. والثانية: إثبات ما ذكره أهل السنة والجماعة من أن

---

[٦٩] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، جزء عم**، ص٢٣١.

[٧٠] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، الفاتحة والبقرة**، ج٢، ص٢٥٢، والحديث رواه البخاري، ينظر: صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب قوله تعالى: (ألا لعنة الله على الظالمين)، برقم: ٢٤٤١، ج٣، ص١٢٨.

[٧١] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، الفاتحة والبقرة**، ج٢، ص٢٥٢.

أسماء الله سبحانه وتعالى المتعدية يستفاد منها ثبوت تلك الأحكام المأخوذة منها؛ فالأسماء المتعدية تتضمن الاسم، والصفة، والأثر؛ الذي هو الحكم المترتب عليه، والعلماء يأخذون من مثل هذه الآية ثبوت الأثر وهو الحكم؛ لأنه لكونه غفوراً رحيماً غفر لمن تناول هذه الميتة لضرورته، ورحمه بحلها؛ فيكون في هذا دليل واضح على أن أسماء الله عز وجل تدل على (الذات) الذي هو المسمى؛ و(الصفة)؛ والحكم، كما قال بذلك أهل العلم رحمهم الله[٧٢].

د إيثار أفعل التفضيل على غيرها: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[الروم:٢٧]، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿أَهْوَنُ﴾ اسم تفضيل من: (هان يهُون)، واسم التفضيل يدل على أن الهَوْنَ درجاتٌ: (هَيِّنٌ وأَهْوَن)، ودرجات الهَوْنِ قد توحي بأن هناك مشقة؛ لأنه لولا أن في بعضها مشقة ما صار بعضها أهون من بعض...فهل قوله: ﴿أَهْوَنُ﴾ على بابها؟ الصحيح أنها على بابها لكنها باعتبار المخاطبين، لأن المخاطب يعرف أن إعادة الشيء أهون من ابتدائه، وسبب ذلك أنَّ إعادته لا تحتاج إلى تفكير جديد؛ لأنه قد سبق فيها التفكير. ثانيًا: لأن مواد التكوين موجودة، فتكون الإعادة أهون باعتبار المخاطب، أما بالنسبة لله عز وجل فلا نقول: إنَّ في حقه ما هو أهون، وما هو هين؛ بل الكل عند الله تعالى هين سهل. وقال بعض المفسرين: إنَّ ﴿أَهْوَنُ﴾ بمعنى: هَيِّن، فعلى هذا يكون الهَوْنُ بالنسبة إلى الله عز وجل، لا بالنسبة لما عندنا نحن، وفي الحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى قال: «كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لاَ أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا»[٧٣]، فهو مفسر للآية، فهو يفسر أن كل ذلك هين عليه، ولكن لا شك أن الإعادة أهون باعتبار المفهوم عند المخاطبين. وقد استنبط الشيخ من هذه الآية قاعدة أصولية مهمة وهي: "استعمال قياس الأولى؛ فإذا كان سبحانه وتعالى قادراً على ابتداء الخلق فهو على الإعادة أقدر من باب أولى"[٧٤].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾[الكهف:١٢]، فقوله: ﴿أَحْصَىٰ﴾ يعني: أبلغ إحصاءً، وليست فعلًا ماضيًا؛ بل اسم تفضيل، فصار المعنى: أي الحزبين أضبط لما لبثوا أمداً، أي: المدة التي لبثوها؛ لأنهم تنازعوا أمرهم فقالوا: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ

---

[٧٢] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، الفاتحة والبقرة**، ج٢، ص٢٥٩.

[٧٣] البخاري، **صحيح البخاري**، حديث رقم: ٤٤٨٢، ج٦، ص١٩..

[٧٤] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة سبأ**، ص١٤٦-١٤٧، و١٥٢.

بَعۡضَ يَوۡمٍ ﴾، وقال آخرون: ﴿قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ ﴾[الكهف:١٩]، ثم الناس من بعدهم اختلفوا كم لبثوا [٧٥].

هـ – إيثار الأسماء الموصولة على غيرها، وله صور منها:

١ – إيثار الذي على ما، نحو قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾[الشورى:١٣]، قال العلامة محمد الطاهر ابن عاشور (ت١٩٧٣م)، رحمه الله: "﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا ﴾، وقوله: ﴿وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾، جيء بالموصول (ما)، وفي قوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾، جيء بالموصول (الذي)، وقد يظهر في بادئ الرأي أنه مجرّد تفنّن بتجنب تكرير الكلمة ثلاثَ مرات متواليات، وذلك كافٍ في هذا التخالف. وليس يبعد عندي أن يكون هذا الاختلافُ لغرض معنويّ، وأنه فَرق دقيق في استعمال الكلام البليغ وهو أن (الذي) تدلّ على معروف عند المخاطب بصلته. وأمّا (مَا) الموصولةُ فأصلها اسم عام نكرة مبهمة، ويعرض لها التعريفُ بكثرة استعمالها نكرة موصوفة بجملةٍ فَأشْبهت الاسم الموصول في ملازمة الجملة بعدها. ولذلك كثر استعمال ما موصولة في غير العقلاء. فيكون إيثار: ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا ﴾، و﴿وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ بحرف (ما) لمناسبة أنّها شرائع بَعُد العهدُ بها، فلم تكن معهودة عند المخاطبين إلا إجمالًا فكانت نكرات لا تتميز إلا بصفاتها، وأما إيثار الموحَى به إلى النبي ﷺ باسم الذي فلأنه شرع متدَاوَل فيهم معروفٌ عندهم. فالتقدير: "شرع لكم شيئاً وصَّى به نوحاً، وشيئًا وصَّى به إبراهيم وموسى وعيسى، والشيءَ الموحى به إليك. ولعل هذا من نكت الإعجاز المغفول عنها"[٧٦]. وفي الآية التفات من حرف (ما) إلى حرف (الذي)، ولعل من فوائد هذا الالتفات تنبيه المخاطب إلى أهمية ما بعد الالتفات؛ وهو الموحَى به إلى نبينا محمد ﷺ فإن قال قائل هل من فائدة أو حكمة في تخصيص النبي ﷺ بالوحي وباقي الأنبياء بالوصية؟ فالجواب: نعم، الحكمة هي: إثبات أن هذا القرآن موحى به[٧٧] من عند الله عز وجل، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾[النجم:٤].

٢ – إيثار ما على من: كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[النساء:٣] (ما) فسرها بعضهم بـ(من)، وقالوا: لأن المرأة من ذوات العقل، والعاقل يستخدم له (من)، وغير العاقل يستخدم

---

[٧٥] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة الكهف**، ص٢٥.

[٧٦] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥، ص٥٢.

[٧٧] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة الشورى**، ص١٢٩.

له "ما"، ولهذا قالوا: إن (ما) بمعنى (من)، ولكن القول ضعيف، بل نقول: إذا كان الأمر يراد به الوصف؛ لإن الوصف ليس من العقلاء فيؤتى بـ(ما)، وهنا المرأة تطيب للرجل لوصفها؛ لأن اختيار المرأة لما قام بها من الأوصاف التي توجب اختيارها، ولهذا عبر بـ(ما). فالصحيح أن (ما) هنا في موضعها، وليست بمعنى (من). فيكون معنى الآية: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمۡ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: ما حسن، ورأيتموه طيبًا، وطابت به نفوسكم، ولا تكرهوا أنفسكم على نكاح من لا تريدون ومن لا تطيب لكم؛ لأن إكراه الإنسان نفسه على من لا تطيب له؛ كإكراه الرجل نفسه على طعام لا يشتهيه، فإنه لا يستسيغه أبدًا [٧٨].

و – ما يخص الاستفهام، ومنه إيثار من الاستفهامية على لا النافية، نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾[البقرة:١١٤]، ﴿وَمَنۡ﴾ اسم استفهام؛ وهي: مبتدأ، و ﴿أَظۡلَمُ﴾ خبرها؛ والاستفهام هنا بمعنى النفي؛ يعني: لا أحد أظلم؛ والميزان الذي يبين أن الاستفهام بمعنى النفي أنك لو حذفت الاستفهام، وأقمت النفي مقامه لصح؛ والفائدة من تحويل النفي إلى الاستفهام أنه أبلغ في النفي؛ إذ إن الاستفهام الذي بمعنى النفي مشرب معنى التحدي؛ كأنه يقول: بيِّنوا لي أيّ أحد أظلم من كذا وكذا [٧٩].

ز – ما يخص أسماء الإشارة: قد يستعمل القرآن الكريم اسم الإشارة للدلالة على التحقير؛ كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٤]، فـ ﴿هَٰذِهِ﴾ اسم إشارة للتحقير ودنو مرتبتها، والإشارة للتحقير واردة في اللغة العربية؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾[الأنبياء:٣٦]، يعني: ما هذا الحقير الذليل الذي يذكر الآلهة؛ وهي عندهم عظيمة وعالية [٨٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[فاطر:١٠]، الإشارة بـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ للبعيد، ولم يقل: (مكر هؤلاء) بإشارة القريب، وفائدة ذلك: الاستبعاد لهم؛ لأنهم ليسوا أهلاً لأن يُقَرَّبُوا، أو لأنهم جعلوا أنفسهم في محل العالين الذين يشار إليهم من بُعد، فبَيَّن أنَّ هؤلاء الذين تعالوا بمكرهم – وإن كانوا في القمة على حسب زعمهم

---

[٧٨] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة النساء**، ص٢٧.

[٧٩] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، الفاتحة والبقرة**، ج٢، ص٥.

[٨٠] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة العنكبوت**، ص٣٩٠.

- فإن هذا المكر يبور، ويهلك ويضمحل، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾[إبراهيم:٢٨]، فهؤلاء مكرهم يبور ويتلاشى ويضمحل، ولا يفيدهم شيئاً [٨١].

ح – إيثار الضمير على غيره، كإيثار ضمير الفصل، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "ضمير الفصل: حرف بصيغة ضمير الرفع المنفصل، يقع بين المبتدأ والخبر إذا كانا معرفتين، ويكون: بضمير المتكلم كقوله تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[طه:١٤]، وقوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾[الصافات:١٦٥ – ١٦٦]، وبضمير المخاطب كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[المائدة: ١١٧]، وبضمير الغائب، كقوله تعالى: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:٥]. وله ثلاثة فوائد: الأولى: التوكيد، فإن قولك: زيد هو أخوك، أوكد من قولك: زيد أخوك. الثانية: الحصر، وهو اختصاص ما قبله بما بعده، فإن قولك: المجتهد هو الناجح؛ يفيد اختصاص المجتهد بالنجاح. ثالثاً: الفصل: أي التمييز بين كونه ما بعده خبرًا، أو تابعًا، فإن قولك: زيد الفاضل؛ يحتمل أن تكون (الفاضل) صفة لزيد، والخبر منتظر، ويحتمل أن تكون (الفاضل) خبرًا وإذا قلت: زيد هو الفاضل، تعين أن تكون (الفاضل) خبراً، لوجود ضمير الفصل"[٨٢].

ط – تقديم المعمول على عامله، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]، ف﴿إِيَّاكَ﴾: مفعول به مقدم؛ وعامله: ﴿نَعْبُدُ﴾ ﴿نَسْتَعِينُ﴾ وقُدِّم على عامله؛ وفائدة هذا التقديم: إخلاص العبادة لله تعالى، وإخلاص الاستعانة بالله عزّ وجلّ[٨٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾[البقرة:١٣٩]، ففي هذه الآية تقديم المعمول (له)، و(لكم)، على عامله (أعمالنا- أعمالكم)، ولهذا التقديم عدة فوائد هي:

١. أن كل إنسان له عمله؛ وسيجازيه الله به يوم القيامة.
٢. وجوب البراءة من أعمال الكفار؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ فإن المراد بذلك البراءة مما هم عليه.
٣. أنه ينبغي للمرء أن يفتخر بما هو عليه من الحق؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾ أي فنحن مفتخرون بها بريؤون من أعمالكم.

---

[٨١] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة فاطر**، ص١٩.

[٨٢] ابن عثيمين، **أصول في التفسير**، ص٥٠.

[٨٣] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، الفاتحة والبقرة**، ج٢، ص٨.

٤. أنه لا يجوز التشبه بأعداء الله؛ لأن المشابهة موافقة في العمل[٨٤]؛ لهذا قال النبي ﷺ: (مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)[٨٥].

ي – إيثار الجمع على الإفراد، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾[آل عمران:١٣]، وإيثار صيغة الجمع للدلالة على شمول الرؤية لكل واحد من آحاد الفئة[٨٦]. أي: يشاهدونهم بأعينهم أنهم مثليهم سواء كانوا مؤمنين أم كفارًا، فإن كانت الرؤية للمؤمنين فواضح؛ لأنهم أقل من الكفار، وإن كانت الرؤية للكافرين؛ فهي من باب إراءة الله إياهم كذلك، وإن كانوا في الواقع غير ذلك[٨٧].

وقول الله عز وجل: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾[آل عمران: ١٩٤]، وإيثار الجمع لإظهار كمال الثقة بإنجاز الموعود بناء على كثرة الشهود[٨٨].

ك – تأكيد الجملة بما يفيد الحصر: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة:١٦٣]، الشيخ قال ابن عثيمين رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ ﴾ الخطاب للبشر كلهم، أي: أيها الناس معبودكم الحق الذي تكون عبادته حقاً؛ وإله بمعنى مألوه؛ فهي بمعنى اسم المفعول؛ والمألوه معناه المعبود حبًا وتعظيمًا... وهو إله واحد؛ وإلهكم مبتدأ؛ و﴿ إِلَٰهٌ ﴾ خبر؛ و﴿ وَٰحِدٌ ﴾ صفة لإله؛ وجملة: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾: طرفها الأول معرفة؛ والثاني نكرة موصوفة، ومؤكد بالوحدانية، يعني: أن إله الخلق إله واحد؛ ووحدانيته بالألوهية متضمنة لوحدانيته بالربوبية؛ إذ لا يعبد إلا من يعلم أنه رب. ثم أكد هذه الجملة الاسمية بجملة تفيد الحصر، فقال: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾؛ وهذه الجملة توكيد لما قبلها في المعنى؛ فإنه لما أثبت أنه إله واحد نفى أن يكون معه إله" [٨٩].

٣.٣ إيثار فعل على فعل في السياق القرآن وأثره الدلالي: وله صور عديدة منها:

---

[٨٤] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، الفاتحة والبقرة**، ج٢، ص٩٩.

[٨٥] أبو داود، **سنن أبي داود**، حديث رقم: ٤٠٣١، ج٤، ص٤٤، وقال الألباني: حسن صحيح، ينظر: **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، ج٩، ص٣١.

[٨٦] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٢، ص١٣.

[٨٧] ابن عثيمين، ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة آل عمران**، ج٢، ص١٣٢.

[٨٨] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة آل عمران**، ج٢، ص١٣٢.

[٨٩] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، الفاتحة والبقرة**، ج٢، ص٢٠٦.

١ – إيثار فعل ذي زيادة في المبنى بموقع فيه زيادة المعنى، ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾[القمر:١]، الشيخ قال ابن عثيمين رحمه الله: "﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ﴾؛ بمعنى: قربت، لكن العلماء يقولون: إن زيادة المبنى يدل على زيادة المعنى، وهنا ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ﴾ فيها زيادة المبنى على قربت، والزيادة: الهمزة والتاء، فيدل على أن القرب قريب جداً، فمعنى ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ﴾ أي: قربت جدًا"[٩٠].

وقوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴾[الكهف:٩٧]، الشيخ قال ابن عثيمين رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ أَن يَظۡهَرُوهُ ﴾؛ يعني أن يصعدوا عليه؛ لأنه عالٍ؛ ولأن الظاهر أنه أملس، فهم لا يستطيعون أن يصعدوا عليه. لم تأتِ التاء في الفعل الأول: ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ ﴾، وأتت فيه ثانياً: ﴿ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ ﴾، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، أيهما أشق أن يصعدوا الجبل أو أن يَنقبوا هذا الحديد؟ الجواب: الثاني أصعب ولهذا قال: ﴿ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴾؛ لأنه حديد ممسوك بالنحاس، فصاروا لا يستطيعون ظهوره لعلوه وملاسته فيما يظهر، ولم يستطيعوا له نقباً لصلابته وقوته، إذا صار سدًا منيعاً، وكفى الله شر هؤلاء المفسدين، وهم يأجوج ومأجوج"[٩١].

٢ – تضمين فعل معنى فعل: والتضمين: هو إعطاء الشيء معنى الشيء وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف[٩٢]، ومن أمثلته قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[فصلت:٦]، الشيخ قال ابن عثيمين رحمه الله: " ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ ﴾ الظاهر أنها من تتمة قول الرسول ﷺ، الذي أمر أن يقوله، ومعنى: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ ﴾ أي: استقيموا على دينه قاصدين إليه؛ فهي تفيد الإخلاص في العمل. فقوله: استقيموا إليه، أي: اقصدوا، ولهذا لم يقل: استقيموا له، بل قال: إليه، فضمن (استقيموا) معنى: (اقصدوا إليه)، فتكون أبلغ من (استقيموا له)؛ لأن المستقيم للشيء قد يستقيم له وهو في مكانه دون أن يسعى إليه، أما إذا قيل: استقيموا إليه فتفيد السعي إلى الله عز وجل وقصده؛ فلهذا عديت بـ(إلى)؛ فهل هنا ناب حرف عن حرف، أو إن الحرف على معناه، ولكن ضمّن الفعل ما يناسب الحرف... وهذا الرأي – أعني: أن الفعل يتضمن معنى يناسب الحرف– هو الذي ذهب إليه البصريون، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٩٣]؛ لهذه الفائدة التي ذكرنا. وأرجو دائما من الطلاب أن

---

[٩٠] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة القمر**، ص٢٦١.

[٩١] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة الكهف**، ص١٣٥.

[٩٢] الزركشي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج٣، ص٣٣٨

[٩٣] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج٢١، ص١٢٤.

يفهموا هذه الفروق الدقيقة؛ لأنها تشحذ الذهن من وجه، وتفتح آفاقا بعيدة لفهم المعاني، وزيادة الاستفادة من وجه آخر"[٩٤].

وقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾[سبأ:٢]، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "فقوله تعالى: ﴿ يَعْرُجُ فِيهَاۚ ﴾ أي: (إليها)، لكن جاءت بلفظ: (فيها) بدل (إليها) لنستفيد فائدتين:

الفائدة الأولى: العروج يعني الصعود.

الفائدة الثانية: الدخول، لأن (في) يناسبها من الأفعال الدخول، تقول: دخل في المكان، أما عرج ويعرج فالذي يناسبها (إلى)، لكن الله عز وجل عدل عن قوله: (يعرج إليها) إلى قوله: ﴿ يَعْرُجُ فِيهَاۚ ﴾؛ ليفيد الصعود، والدخول. وضَمَّن (يعرج) معنى (يدخل). والتضمين موجود في القرآن الكريم وفي اللغة العربية... والتضمين فن مهم في باب البلاغة، ينبغي لطالب العلم أن يدرسه ويحققه، حتى يستفيد إذا اختلفت الحروف مع عواملها[٩٥].

٣ – إيثار صيغة المضارع: وهو يدل على الحال[٩٦]، كما يدل على الاستقبال إذا دخلت عليه: "السين أو سوف"، ولهذا يعبر به القرآن الكريم في كل حدث مستمر في الحاضر أو المستقبل، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[البقرة:٢١٢]، أي: زينت لهم، والحال أنهم يسخرون من الذين آمنوا؛ ويجعلونهم محل سخرية، وازدراء، واحتقار؛ إما لِما يقومون به من الأعمال الصالحة؛ وإما لكونهم لم يؤتوا من الدنيا ما أوتي هؤلاء على زعمهم، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾[المطففين:٢٩-٣٢][٩٧].

٤ – إيثار صيغة الاستقبال، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾[البقرة:٢١٢] فلفظ ويسخرون: للدلالة على استمرار السخرية من فقراء المؤمنين؛ كبلال وعمار وصهيب رضي الله عنهم، حيث كانوا يسترذلونهم ويستهزئون

---

[٩٤] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة فصلت**، ص٣٥-٣٦.

[٩٥] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة الحديد**، ص٣٦٨.

[٩٦] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، جزء عم**، ص٣٣٦.

[٩٧] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، الفاتحة والبقرة**، ج١، ص٢٢.

بهم؛ على رفضهم الدنيا وإقبالهم على العقبى[٩٨]، وقد استخرج الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – من هذه الآية فائدتين هما:

"الأولى: أن الكفار لا يزالون يسلطون أنفسهم على المؤمنين؛ لقوله تعالى: ويسخرون؛ بالفعل المضارع؛ لأن المضارع يدل على الاستمرار، والحال، والاستقبال؛ فهم دائمًا في سخرية من الذين آمنوا.

والفائدة الثانية: تثبيت المؤمنين، وترسيخ أقدامهم في إيمانهم؛ أي: اصبروا؛ فإن هذا دأبهم وشأنهم أن يسخروا منكم؛ فما دمتم تعرفون أن هذه عادة الكفار فإن الإنسان يصبر؛ إذا عرف الإنسان أن هذا شيء لا بد منه يكون مستعداً له، وقابلاً له، وغير متأثر به"[٩٩].

٥ – استعمال كان مسلوبة الزمان للتحقيق: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[النساء: ٩٦]، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "كان فعل ماضٍ؛ والمضي يدل على شيء سابق؛ لكن هناك تخريجاً أحسن من هذا: أن نقول: إن (كان) تأتي أحياناً مسلوبة الزمان، ويراد بها تحقق اتصاف الموصوف بهذه الصفة؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[النساء:١٣٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[النساء:١٥٨]، وما أشبهها؛ فليس المعنى أنه كان فيما مضى؛ بل لا يزال؛ فتكون كان هنا مسلوبة الزمان، ويراد بها تحقيق اتصاف الموصوف بما دلت عليه الجملة؛ وهذا هو الأقرب، وليس فيه تأويل؛ ويُجرى الكلام على ظاهره"[١٠٠].

٦ – استعمال فعل المطاوعة لإرادة المبالغة: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[الفتح:٢٥]، و(التزيَّل): مطاوع زيَّله إذا أبعده عن مكان، و(زيلهم)، أي: أبعد بعضهم عن بعض، أي: فرقهم، وأفعال المطاوعة كثيرًا ما تطلق لإرادة المبالغة لدلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى، وذلك أصل من أصول اللغة[١٠١].

٧ – إيثار المبني لما لم يُسَمَّ فاعله: يحذف الفاعل ويقام المفعول به مقامه لأسباب خمسة هي: الأول: ألاَّ يكون للمتكلمِّ في ذكره غرض. والثاني: أنْ يُترك ذكره تعظيماً له أو احتقاراً. والثالث: أن يكون

---

[٩٨] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج١، ص٢١٣.

[٩٩] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم**، الفاتحة والبقرة، ج٣، ص٢٥.

[١٠٠] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، الفاتحة والبقرة**، ج١، ص١٢٦.

[١٠١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٦، ص١٩٢.

المخاطب قد عرفه. والرابع: أن يخاف عليه من ذكره. والخامس: ألاَّ يكون المتكلَّم يعرفه[١٠٢]. وثمة سبب سادس ذكره الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، وهو: أن يكون الفاعل مكروهاً مبغوضاً غير محبوب عند المتكلم[١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾[البقرة:٩٣]، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "قال بعضهم: إنه على تقدير مضاف؛ والتقدير: أشربوا في قلوبهم حب العجل؛ لأن العجل نفسه لا يمكن أن يشرب في القلب؛ ومعنى ﴿ وَأُشْرِبُواْ ﴾ أنه جُعل هذا الحب كأنه ماء سقي به القلب؛ إذ امتزج بالقلب كما يمتزج الماء بالمدر إذا أشرب إياه؛ والمدر هو الطين اليابس؛ فهذا القلب أشرب فيه حب العجل، ولكن عبر بالعجل عن حبه؛ لأنه أبلغ؛ فكأن نفس العجل دخل في قلوبهم؛ والذي أشرب هذا في قلوبهم هو الله سبحانه وتعالى؛ ولكن من بلاغة القرآن أن ما يكرهه الله يعبر عنه غالبًا بالبناء لما لم يسم فاعله، وقوله تعالى: ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ الباء هنا للسببية؛ أي بسبب كفرهم بالله السابق على عبادة العجل؛ لأنهم قد نووا الإثم قبل أن يقعوا فيه؛ فصاروا كفاراً به، ثم أشربوا في قلوبهم العجل حتى صاروا لا يمكن أن يتحولوا عنه: قال لهم هارون ﷺ: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴾[طه:٩٠]، ولكن كان جوابهم لهارون: ﴿قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [طه:٩١] فأصروا؛ لأنهم أشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم"[١٠٤].

٤.٣ إيثار حرف على حرف في النظم القرآن وأثره الدلالي: وله صور منها:

١ – إبدال حرف بحرف: ومن أمثلة ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[الشورى:٢٥]، الفعل يقبل يناسبه من حروف الجر من، تقول: يقبل الله منك، وتقبل الله منك، وهنا نجد أن يقبل استأثر بحرف عن في قوله عز وجل: ﴿ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾، فلماذا جاء حرف الجر (عن) بدلًا عن (من)؟. قيل: (عن) بمعنى (من)، أي: يقبل التوبة من عباده، قال ابن عثيمين رحمه الله: "وهذا على مبني على أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض، ولكن إبقاء اللفظ على

---

[١٠٢] العكبري، أبو البقاء، **اللباب في علل البناء والإعراب**، ج١، ص١٥٧.

[١٠٣] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم**، الفاتحة والبقرة، ج١، ص٣٠٤.

[١٠٤] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم**، الفاتحة والبقرة، ج١، ص٣٠٤. باختصار يسير.

ظاهره أولى، ويكون: ﴿ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾، مضمَّنًا معنى (يعفو)؛ فيقبل التوبة منهم، ويعفو عنهم، وقوله: ﴿وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾؛ كالتوكيد لما سبق"[١٠٥].

وقوله تعالى: ﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾[المطففين:٢٨]، قال ابن عثيمين: "هذه العين والمياه النابعة، والأنهار الجارية يشرب بها المقربون. وهنا سيقول قائل: لماذا قال: يشرب بها؟ هل هي إناء يُحمل حتى يقال شرب بالإناء؟ فالجواب: لا؛ لأن العين والنهر لا يُحمل. إذن لماذا لم يقل يشرب منها المقربون؟ والجواب عن هذا الإشكال من أحد وجهين: فمن العلماء من قال: الباء بمعنى (من)، فمعنى يشرب بها: أي يشرب منها. ومنهم من قال: إن (يشرب) بمعنى (يروى) ضُمّنت معناها، فمعنى ﴿يَشۡرَبُ بِهَا﴾ أي: يروى بها المقربون. وهذا المعنى أو هذا الوجه أحسن من الوجه الذي قبله؛ لأن هذا الوجه يتضمن شيئين يرجحانه وهما: أولًا: إبقاء حرف الجر على معناه الأصلي. والثاني: أن الفعل (يشرب): ضمَّن معنى أعلى من الشرب وهو (الري)، فكم من إنسان يشرب ولا يروى، لكن إذا روي فقد شرب، وعلى هذا فالوجه الثاني أحسن، وهو أن يضمّن الفعل (يشرب) بمعنى (يروى)"[١٠٦].

٢ – الذكر والحذف: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ﴾[البروج:١٩]، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "أي: إن الذين كفروا بمحمد ﷺ في تكذيب، وكأنهم منغمسون في التكذيب، والتكذيب محيط بهم من كل جانب، وهذا أبلغ من قوله: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴾[الانشقاق:٢٢]، في هذا الموضع، وقد تكون: ﴿ يُكَذِّبُونَ﴾ أبلغ في موضع آخر غير هذا الموضع، لأن القرآن قد يأتي بالكلمتين المختلفتين في موضعين وتكون كل واحدة منهما في موضعها أبلغ من الأخرى"[١٠٧]. فهم منغمسون في تكذيب النبي المرسل والكتاب المنزل؛ حيث ادعوا بأنه أساطير الأولين.

٤. الخاتمة:

أولا: النتائج: وقد توصل الباحث للنتائج الآتية:

١. أبرز ابن عثيمين لفتات القرآن الكريم، ووضَّح أسراره في اختيار ألفاظه، ورصف جمله وفواصله.
٢. القرآن الكريم معجز في مفرداته؛ معجز في جمله؛ معجز في نظمه؛ معجز في فواصله.

---

[١٠٥] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، سورة الشورى**، ص٢٢٣.
[١٠٦] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم**، جزء عم، ص١٠٦.
[١٠٧] ابن عثيمين، **تفسير القرآن الكريم، جزء عم**، ص١٤١.

٣. دقة اختيار المفردة القرآنية بحيث لا يصلح استبدال مفردة بأخرى؛ لكيلا يختل النظم والمعنى.

٤. اشتمل القرآن على كل أساليب الكلام العربي البليغ، وجاء بأساليب أخرى لم يكن في معهودهم، ولا في مقدورهم الإتيان بمثله؛ فهو عجيب نظمه، بديع تأليفه، متناه في بلاغته، لا تفاوت فيه ولا تباين.

٥. تنوعت خطابات القرآن فمرة ينتقل من مخاطب إلى مخاطب، ومرة يؤثر جملة على أخرى، وتارة يؤثر اسما على آخر، وفعلا على فعل، وحرفًا على حرف، ليظل قارئه وسامعه منجذبًا أشد الانجذاب إليه.

٦. مراعاة النظم القرآني يجنب المفسر الوقوع في الخطأ في فهم النصوص القرآنية، فكم من خطأ في الفهم جر إلى أخطاء في العمل والتطبيق.

ثانياً: التوصيات: يوصي الباحث بالآتي:

١. دراسة الالتفات وأثره الدلالي عند ابن عثيمين رحمه الله.

٢. دراسة أثر الإعراب في المعنى عند الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

٣. دراسة القيم الجمالية في التشبيه عند ابن عثيمين رحمه الله.

REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] .Ibn al-Athīr, Naṣr ibn Muḥammad, *al-mathal al-sā'ir fī adab al-Kātib wa-al-shā'ir*, taḥqīq : Aḥmad al-Ḥūfī, bi-al-ishtirāk, (Dār Nahḍat Miṣr lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī', al-Fajjālah, al-Qāhirah).

[2] Ibn al-Ḥājib, Jamāl al-Dīn ibn *'Uthmān ibn 'Umar, al-Kāfiyah fī 'ilm al-naḥw,* taḥqīq : Ṣāliḥ 'Abd al-'Aẓīm al-shā'ir, *Maktabat al-Ādāb, al-Qāhirah*, Ṭ : 1, 2010m).

[3] Ibn Taymīyah, Taqī al-Dīn Aḥmad ibn 'Abd al-Ḥalīm, *Majmū' al-Fatāwá*, taḥqīq : Anwar al-Bāz, bi-al-ishtirāk, (Dār al-Wafā', Ṭ : 3, 1426).

[4] Ibn manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram al-Miṣrī, *Lisān al-'Arab*, (Dār Ṣādir, Bayrūt, Ṭ : 1).

[5] Abū al-Fatḥ, 'Uthmān ibn Janá, *al-Muḥtasib fī Tabyīn Wujūh shawādhdh al-qirā'āt wa-al-īḍāḥ 'anhā*, (al-Majlis al-A'lá lil-Shu'ūn al-Islāmīyah, 1999M).

[6] Abū al-Fatḥ, 'Uthmān ibn Jinnī*, al-Khaṣā'iṣ*, taḥqīq : Muḥammad 'Alī al-Najjār, ('Ālam al-Kutub, Bayrūt).

[7] Abū Dāwūd, Sulaymān ibn al*'sh't al-Sijistānī, Sunan Abī Dāwūd,* taḥqīq : Muḥammad Muḥyī al-Dīn 'Abd al-Ḥamīd, (al-Maktabah al-'Aṣrīyah, Ṣaydā).

[8] al-Albānī, Muḥammad ibn *Nāṣir, al-Jāmi' al-Ṣaghīr wa-ziyāyadatuhu*, (al-Maktab al-Islāmī, Bayrūt).

[9] al-Albānī, Muḥammad ibn Nāṣir, *Ṣaḥīḥ wa-ḍa'īf Sunan Abī Dāwūd*, (Barnāmaj manẓūmat al-Taḥqīqāt al-Ḥadīthīyah al-Majānī, min intāj Markaz Nūr al-Islām li-Abḥāth al-Qur'ān wa-al-sunnah bi-al-Iskandarīyah).

[10] al-Alūsī, Maḥmūd ibn 'Abd Allāh, *Rūḥ al-ma'ānī fī tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm* wa-al-Sab' al-mathānī, (Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, Bayrūt).

[11] al-Bāqillānī, Abū Bakr Muḥammad ibn al-Ṭayyib ibn Muḥammad, *I'jāz al-Qur'ān,* taḥqīq : al-Sayyid Aḥmad Ṣaqr, (Dār al-Ma'ārif, al-Qāhirah).

[12] albjā'y al-Andalusī, Shihāb al-Dīn, Aḥmad ibn Muḥammad, al-ḥudūd fī 'ilm al-naḥw, taḥqīq : Najāt Ḥasan 'Abd Allāh, (al-Nāshir : al-Jāmi'ah al-Islāmīyah, al-Madīnah al-Munawwarah, al-'adad 112, 2001M)

[13] al-Bukhārī, Abū 'Abd Allāh, Muḥammad ibn Ismā'īl, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*, taḥqīq : Muḥammad Zuhayr al-Nāṣir, (Dār Ṭawq al-najāh, Ṭ : 1, 1422h).

[14] al-Badawī, Aḥmad Aḥmad, *min Balāghat al-Qur'ān*, (Nahḍat Miṣr, al-Qāhirah, 2005m).

[15] al-Bazzār, Abū Bakr Aḥmad ibn *'Amr, Musnad al-Bazzār*, taḥqīq : Maḥfūẓ al-Raḥmān Zayn Allāh, (Maktabat al-'Ulūm wa-al-Ḥikam, al-Madīnah al-Munawwarah, Ṭ : 1, 1988m.

[16] al-Bughā, Muṣṭafá Dīb, bi-al-*ishtirāk, al-Wāḍiḥ fī 'ulūm al-Qur'ān*, (Dār al-Kalim al-Ṭayyib wa-Dār al-'Ulūm al-Insānīyah, Dimashq, Ṭ : 2, 1998M).

[17] al-Tuwayjirī, Muḥammad ibn Ibrāhīm, Mawsū'at fiqh al-qulūb, (Bayt al-afkār al-Dawlīyah).

[18] al-Jurjānī, 'Alī ibn Muḥammad al-Sharīf, *alt'ryfāt,* taḥqīq : Ibrāhīm al-Abyārī, (Dār al-Kitāb al-'Arabī, Bayrūt, Ṭ : 1, 1405h).

[19] al-Jarmī, Ibrāhīm Muḥammad, *Mu'jam 'ulūm al-Qur'ān,* (Dār al-Qalam, Dimashq, Ṭ : 1, 2001M).

[20] al-Jūjarī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn 'Abd al-Mun'im, *sharḥ Shudhūr al-dhahab fī ma'rifat kalām al-'Arab*, taḥqīq : Nawwāf ibn Jazā' al-Ḥārithī, (al-

Nāshir : ‘Imādat al-Baḥth al-‘Ilmī bi-al-Jāmi‘ah al-Islāmīyah, al-Madīnah al-Munawwarah, al-Mamlakah al-‘Arabīyah al-Sa‘ūdīyah, Ṭ : 1, 1423 H-2004 M)

[21] Ḥijāb, al-Sayyid ‘Abd al-Fattāḥ, min Badā’i‘ al-nuẓum al-Qur’ānī, (Maṭba‘at al-Jundī).

[22] al-Rāghib al-Aṣfahānī, al-Ḥusayn ibn Muḥammad*, mufradāt alfāẓ al-Qur’ān,* taḥqīq : Ṣafwān al-Dāwūdī, (Dār al-Qalam, al-Dār al-Shāmīyah-Dimashq Bayrūt, Ṭ1, 1412h).

[23] al-Rāghib, ‘Abd al-Salām Muḥammad, *Waẓīfat al-Ṣūrah al-fannīyah fī al-Qur’ān*, (Fuṣṣilat lil-Dirāsāt wa-al-Tarjamah wa-al-Nashr, Ḥalab, Ṭ : 1, 2001M).

[24] Riḍā, Muḥammad Rashīd, al-waḥy al-Muḥammadī, (Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, Ṭ : 1, 2005m).

[25] al-Zarkashī, Badr al-Dīn Muḥammad ibn ‘Abd Allāh ibn Bahādur, al-burhān fī ‘ulūm al-Qur’ān, taḥqīq : Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, (Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabīyah ‘Īsá al-Bābī al-Ḥalabī wa-shurakā’ih, Ṭ : 1, 1957m).

[26] al-Zayyāt, Aḥmad Ḥasan, Difā‘ ‘an al-balāghah, (Maṭba‘at al-Risālah, al-Qāhirah, Ṭ : 1).

[27] Sa‘d, Maḥmūd Tawfīq, Naẓarīyat al-nuẓum wa-qirā’ah al-shi‘r ‘inda ‘Abd al-Qāhir al-Jurjānī, (Majallat Kullīyat al-lughah al-‘Arabīyah, Jāmi‘at al-Azhar al-Sharīf, al-Minūfīyah, al-‘adad : 21, 1423h).

[28] al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn ‘Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr, al-Durr al-manthūr fī al-tafsīr bi-al-ma’thūr, taḥqīq : ‘Abd Allāh al-Turkī, (Markaz Hajar lil-Buḥūth wa-al-Dirāsāt al-‘Arabīyah wa-al-Islāmīyah, al-Qāhirah, Ṭ : 1, 2003m).

[29] al-shi‘rī, Muḥammad Mutawallī, tafsīr al-Sha‘rāwī, (Majma‘ al-Buḥūth al-Islāmīyah, al-Azhar, 1991m).

[30] al-‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, uṣūl fī al-tafsīr, (al-Maktabah al-Islāmīyah, Ṭ : 1, 1422h).

[31] al-‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, *tafsīr al-Qur’ān al-Karīm*, (Dār al-Thurayyā lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, al-Riyāḍ, wa-Mu’assasat Ibn ‘Uthaymīn, wa-Dār Ibn al-Jawzī).

[32] al-‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ, Majmū‘ *Fatāwá wa-rasā’il* al-Shaykh Muḥammad ibn Ṣāliḥ al-‘Uthaymīn, jam‘ wa-tartīb : Fahd al-Sulaymān, (Dār al-waṭan, wa-Dār al-Thurayyā, 1413h).

[33] al-‘Ukbarī, Abū al-Baqā’ ‘Abd Allāh ibn al-Ḥusayn, *al-Lubāb fī ‘Ilal al-binā’* wa-al-i‘rāb, taḥqīq : Ghāzī Ṭulaymāt, (Dār al-Fikr, Dimashq, Ṭ : 1, 1995m).

[34] al-‘Imādī, Abū al-Sa‘ūd Muḥammad ibn Muḥammad*, Irshād al-‘aql al-salīm ilá* mazāyā al-Kitāb al-Karīm, (Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, Bayrūt).

[35] al-Fayrūz Ābādī, Muḥammad ibn Ya‘qūb, al-Qāmūs al-muḥīṭ, Maktab taḥqīq al-Turāth fī Mu’assasat al-Risālah, (Mu’assasat al-Risālah, Bayrūt, Ṭ : 8, 2005m).

[36] al-Qazwīnī, Abū al-Ḥusayn Aḥmad ibn Fāris ibn Zakarīyā, Maqāyīs al-lughah, taḥqīq : ‘Abd alssalām Muḥammad Hārūn, (Ittiḥād al-Kitāb al-‘Arab, 2002M).

[37] al-Maḥmūdī, Muḥammad Sarḥān *‘Alī Qāsim, Manāhij al-Baḥth al-‘Ilmī*, Dār al-Kutub, Ṣan‘ā’, ṭ3, 1441h).

[38] Murtaḍá al-Zubaydī, Muḥammad ibn Muḥammad, *Tāj al-‘arūs min Jawāhir al-Qāmūs*, taḥqīq : majmū‘ah min al-muḥaqqiqīn, (Dār al-Hidāyah, 1969m).

[39] Muslim, Muṣṭafá, *Mabāḥith fī I‘jāz al-Qur’ān*, (Dār al-Qalam, Dimashq, Ṭ : 3, 2005m).

[40] Muṣṭafá, Ibrāhīm, wa-ākharūn, *al-Mu‘jam al-Wasīṭ, taḥqīq* : Majma‘ al-lughah al-‘Arabīyah, (Dār al-Da‘wah).

[41] al-Muṭarrizī, Nāṣir al-Dīn ibn ‘Abd al-Sayyid, *al-Maghrib fī tartīb al-Mu‘arrab*, taḥqīq : Maḥmūd Fākhūrī bi-al-ishtirāk, (Maktabat Usāmah ibn Zayd, Ḥalab, Ṭ : 1, 1979m).

[42] al-Nīsābūrī, Abū al-Ḥusayn Muslim ibn al-Ḥajjāj, *Ṣaḥīḥ Muslim*, taḥqīq : Muḥammad Fu’ād ‘Abd al-Bāqī, (Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, Bayrūt).

[43] Yāsūf, Aḥmad, Jamālīyāt al-*mufradah al-Qur’ānīyah*, (Dār al-Maktabī, Dimashq, Ṭ : 2, 1999M)..